جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تعدد المعنى في التعبيرات الاصطلاحية في متون السنة

دراسة سياقية

الدكتور
هاشم عبدالرحيم حسن عبدالجواد
مدرس في قسم أصول اللغة في كلية اللغة العربية في جرجا

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م

الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين ، ومِنَّته على المؤمنين ، وحُجَّته على الناس أجمعين ، سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين .

وبعد ، فمن الثابت لدى أهل اللغة أن الدراسات اللغوية ترجع جميعها إلى أحد المستويات الأربعة : الصوتي ، والصرفي ، والتركيبي ، والدلالي ، على تفاوت بينها في الأهمية، إلا أن أهمها عندهم المستوى الدلالى ؛ إذ إن المستويات الثلاثة تعمل سادنة للمستوى الرابع ، فهو ثمرة الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية ، فغاية علوم اللغة جميعها الوصول إلى المعنى .

ومن هنا تبوأ الجانب الدلالى – في الدرس اللغوي – مكانة سمية ورتبة علية ، فأضحى محطَّ نظر كثير من علماء اللغة والبلاغة والأصول ، فعُنُوا بها رَدَحَاً من الزمن عناية فائقة، ليس هم فحسب بل إذا قَلَّبْتَ النظر في الباحثين المحدثين ألفيتَ كثيراً منهم قد وَلَّوْا وجوهَهم إلى الدراسات الدلالية ، فباتت قبلة لهم ، يَرْوُون منها غُلَّتَهُمْ ، لا سيما فيما يتناول منها الجانبَ التطبيقى .

هذا ، وقد تباينت وتنوعت أوجه الجانب الدلالي ، فمنها ما يتناول المفردة، ومنها ما يتخذ من التراكيب والجمل بغية ومناالاً .

ومن المُسَلَّمِ له أن البحث يسمو ويتعاظم بما تعلق به ، ولا أرفع – بعد القرآن الكريم – من كلام رسول الله – ﷺ – ومن ثَمَّ قَرَّتْ رغبة قوية في النفس أن يخرج هذا البحث موثقاً بسنة النبي – ﷺ – فوقع البحث على جانب من الجوانب الدلالية ، تناولت فيه بعض التعابير والجمل التي وقعت – عند أهل اللغة – على معناها اللغوي الذي وضعت له ، واصطلحوا على هذا .

وهنا – في حنايا السنة المطهرة وفي تضاعيف النص النبوي الشريف – تقضي النظرة العجلى لهذه التراكيب والعبارات بأن دلالاتها اللغوية هى المرادة ، ثم بالنظر إليها على مهل يستبين أنها دلت على معنى – أو معان – سياقية جديدة.

ولكيما ينفذ القارئ إلى المعنى المراد الذي يتسق وبغيةَ المتكلم ، يتحتم عليه الاتكاء على القرائن التي بها يزول الإبهام ويُماط اللثام عن المعاني السياقية الغامضة، وهى – أى : القرائن – لا تخرج عن نوعين :

إما لغوية ، تتمثل في العبارات الواردة في الحديث محل الدراسة ، ويندرج تحتها – أيضاً – تلكم الروايات الأخرى المتصلة بسياق الحديث ذاته ، فتعدد الرواية ضَرْبٌ من ضروب القرائن اللغوية ؛ وذلك لأن أحاديث النبي – ﷺ – يفسر بعضُها بعضاً ، وقد نَوَّهَ إلى ذلك الإمامُ أحمد بن حنبل – ﷺ – فقال : " الحديث إذا لم تَجْمَع طرقَه لم تَفْهَمْهُ ، والحديث يفسر بعضه بعضاً "[(١)].

وإما حالية ، لا تقل شأناً في الوقوف بها على المقصد الصحيح – لهذه التعبيرات – الذي عليه يستقيم الكلام ، وذلك بمراعاة الظروف والملابسات المحيطة بالنص ، والنظر باهتمام إلى حال المتكلم .

فإذا أغفل القارئ هذه القرائن ضل السبيل إلى المقصد السليم ، وفسر الحديث على غير مراد المتكلم – ﷺ – وحمله على غير وجهه ، وهنا تكمن الخطورة .

لهذا كله رأيت أن تتبلور[(٢)] هذه الفكرة تحت عنوان : " تعدد المعنى في التعبيرات الاصطلاحية في متون السنة دراسة سياقية " .

هذا ، وقد حفزني إلى الكتابة في هذا البحث عدة أسباب ، هى :

أولاً – شغفي بسنة رسول الله – ﷺ – الذي حضني على مطالعة شروح السنة الثرية بالنماذج التطبيقية على مختلف الظواهر اللغوية ، وخاصة الجانب الدلالى .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ٢١٢/٢ – تح:د/ محمد رأفت السعيد – مكتبة الفلاح – الكويت – ط الأولى ١٤٠١هـ .

(٢) بمعنى : تجتمع وتتحد . هذه الكلمة أقر بفصاحتها مجمع اللغة العربية المصري . ينظر : معجم الصواب اللغوي ٢٠٥/١ ، دليل المثقف العربي – د/ أحمد مختار عمر ، بمساعدة فريق عمل – الناشر: عالم الكتب – القاهرة – ط الأولى ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

ثانياً – بيان أهمية السياق في الكشف عن الغموض الذي يصيب بعض التعبيرات اللغوية التي استترت معانيها عن القارئ ذي النظرة الخاطفة ، إلا بالاستناد والاستضاءة بقرائن لغوية أو حالية تصطفي ، أو ترشح ، أو تحسن معنى دون آخر .

ثالثاً – لم يتعرض أحد من الباحثين – فيما علمت – إلى تناول هذه التعبيرات الاصطلاحية بالدراسة السياقية ، وتوظيف السياق – وما اكتنفه من قرائن – في التوصل إلى المعنى الذي يتفق ومقصدَ المتكلم .

رابعاً : أن لهذه التعبيرات الاصطلاحية أخذة تستجلب العقول لدراستها ؛ وذلك لأن النظرة الخاطفة تحمل بعض هذه التعبيرات على معناها اللغوي ، حينئذ يلحظ القارئ تصادماً صريحاً بين الدلالة اللغوية والمعنى السياقي الذي يبغيه المتكلم ، كقول النبي – ﷺ – يمدح أبا بَصِير الصحابى – رضى الله عنه – : " ويلَ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ " فهل يُتخيَّل أن يمدحه رسولُ الله – ﷺ – ويقرظه بكلمة تقال – في اللغة – لمن وقع في هلكة يستحقها؟[1] ومن هنا دفعني هذا التعارض الظاهر إلى التنقيب عن المعاني السياقية التي عليها يستقيم الكلام وتوافق مبتغى النص منه ، معضداً تلك المعاني بقرائن لغوية ، أو حالية، أو بهما معاً .

هذا ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن تتكون خطته – بعد المقدمة والتمهيد – من ستة مباحث تعقبها خاتمة ، ثم ثبت للمراجع والمصادر ، يتلوه ثبت الموضوعات.

أما المقدمة فقد سردت فيها ما يدل على مكانة المباحث الدلالية بين البحوث اللغوية ، وبخاصة الدراسات السياقية ، ثم سقت فيها الدوافع التي أخذت بي إلى إنشاء هذا العمل اللغوى ، ثم عرضت خطة البحث ، والمنهج الذي سلكته فيه ، مع التنويه على أهم المصادر التي استقى منها هذا البحثُ مادته .

وأما التمهيد ، فبينت فيه أهمية السياق في اصطفاء المعاني التي تعتور هذه التعبيرات الاصطلاحية .

---

(١) ينظر : البحث ص ٢١.

ثم المباحث الستة :

المبحث الأول : الزجر والإغلاظ .

المبحث الثاني : المدح والتقريظ .

المبحث الثالث : الإنكار والتوبيخ .

المبحث الرابع : التنبيه من الغفلة ونسبة الخطأ .

المبحث الخامس : الذم والسب .

المبحث السادس : الحض على فعل الشيء .

ثم **الخاتمة** : وفيها سجلت أبرز النتائج التي أثمرها هذا البحث .

أعقبها ثبت المراجع والمصادر ، تلاه ثبت الموضوعات .

أما المنهج الذي سلكته في معالجة النماذج وتحليلها سياقياً فهو المنهج الوصفى ، وذلك على النحو الآتي :

أولاً – بينت المعانى اللغوية لعناوين المباحث ؛ ليتبين المعنى للقارئ ، وذلك في تمهيد وجيز .

ثانياً – صدَّرْتُ كُلَّ نموذج بذكر الحديث المشتمل عليه ، سواء كان مرفوعاً إلى النبي – ﷺ – أو موقوفاً على الصحابة – رضوان الله عليهم – أو مرسَلاً من أحد التابعين ، وذلك أعلى الصفحة .

ثالثاً – قمت بإيراد المعنى اللغوي للتعبير الاصطلاحي – محل الدراسة – مستعيناً في ذلك بالمعجمات العربية ، ومصنفات غريب الحديث .

رابعاً – قمت بتحليل الأمثلة طبقاً للمنهج السياقي مؤيداً المعاني السياقية بقرائن لغوية ، أو حالية ، أو بهما معاً ، مع ذكر أثر هذه المعاني السياقية في النص النبوي ، وبيان ما ترتب عليها من ثمرة دلالية .

خامساً – خرَّجْتُ الأحاديث – موضع الدراسة – التي تُمَثِّل شواهدَ البحث من كتب متون السنة المعتمدة ، وذلك بذكر الجزء ، ورقم الصفحة ، ورقم الحديث – إن كان مرقوماً – وذكر الكتاب والباب اللذين فيهما ورد الشاهد ، أيضاً خَرَّجْتُ الأحاديثَ الأخرى الواردةَ في تضاعيف البحث من كتب متون السنة ، كلاً في

موضعه ، وبالطريقة ذاتها: ذكرت الجزء ، والصفحة ، ورقم الحديث – إن كان مرقوماً – والكتاب والباب الواردة فيهما .

سادساً – حَرَصْتُ على ضبط النصوص النبوية بالشكل ؛ كى لا يلتبس المعنى على القارئ.

هذا ، وقد استقى البحثُ مادتَه من مصدرين أساسين ، هما :

الأول – المعجمات اللغوية ، وعليها استندت في استخراج المعاني اللغوية للتعبيرات الاصطلاحية محل الدراسة .

الثاني – شروح السنة المطهرة القديمة والحديثة ؛ إذ إنها عنيت بتحليل كلام رسول الله – ﷺ – ومعالجته دلالياً ، داعمة ذلك بالأدلة .

وهنا أخنع إلى الله –ﷻ– وأرفع إليه حمدي وإجلالي أن أذن لي بالكتابة في سنة نبيه – ﷺ – وأقدم بين يدى رسول الله –ﷺ– عذري أن تحرك القلم يكتب في كلامه العالي ولست أهلاً لذلك، ولم أَرُمْ من وراء ذلك إلا القربى منه – ﷺ– علَّه يكون .

وثَمَّ أساتذة أجلاء من أهل المعرفة والعلم، ذوو قلم ماهر وفكر ثاقب، لهم أثر جلى تبدى صداه على محاور هذا العمل، لهم علىَّ وافر الشكر وعظيم الامتنان. وأخيراً أسأل الله – ﷻ – أن يغفر لي الزلات ، وأن يتجاوز عن الخطيئات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التمهيد

قبل الشروع في الدراسة التطبيقية يجب الوقوف بين يدى العنوان ؛ ليتبين المراد منه. وهنا سؤال يلقى بظله : ما المراد بالتعبيرات الاصطلاحية ؟

مفهوم التعبيرات الاصطلاحية :

تطلق التعابير الاصطلاحية في الدراسات العربية الحديثة على مجموعة من المصطلحات أهمها : العبارة المأثورة ، والكلام المأثور ، والقول المأثور ، والتعبيرات الشائعة ، والمصطلح . [١][٢]

ويعرف التعبير الاصطلاحى دلالياً بأنه: "اجتماع كلمتين أو أكثر تعملان كوحدة دلالية " [٣] **أو بأنه " نمط تعبيرى خاص بلغة ما ويتكون من كلمتين أو أكثر تحولت عن معناها الحرفى إلى معنى مغاير اصطلحت عليه الجماعة اللغوية"**[٤] **وبصيغة أخرى هو " تعبير له معنى خاص يختلف عن مجموع معاني كلماته بحيث يصعب إدراك المقصود به عند سماعه للمرة الأولى لغير أبناء اللغة الخاصة "** [٥].

هذه تعريفات مترادفة تتلخص في أن التعبيرات الاصطلاحية لا يتأتى فهم معناها من المعاني الحرفية لمفرداتها ، وإنما تحولت هذه التعابير من المعاني الحرفية لكلماتها إلى معانٍ أخر اشتهرت بها عند الجماعة الناطقة بهذه التعبيرات؛ ومن ثم يصعب على غير هذه الجماعة اللغوية إدراك المراد منها عند سماع هذه التعبيرات للمرة الأولى .

---

(١) ينظر : التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية تحليل لغوى تقابلي لسعيد جبر أبى خضر ص ٦٥ – جامعة آل البيت – عالم الكتب – أربد – الأردن – ٢٠٠٨م .

(٢) ليست هذه التعبيرات من الأمثال ؛ لأن المثل أساسه التشبيه ، أما هذه التعبيرات فلا تشتمل على التشبيه البتة ، وإنما تجرى مجرى المثل . ينظر : التعابير المسكوكة ودورها في الخطاب السياسي لموساوى يمينة ليلى ص٣٦ ، ٣٧ – جامعة أبى بلقايد – تلمسان – كلية الآداب – الجزائر – ٢٠١٠م.

(٣) المرجع السابق ص ٦٦ .

(٤) التعبير الاصطلاحى لكريم زكى حسام الدين ص ٣٤ – مكتبة الأنجلو – مصر – ط الأولى ١٩٨٥م .

(٥) التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية تحليل لغوى تقابلي لسعيد جبر أبى خضر ص٦٧.

فقول النبي – ﷺ – لأبى بصير يمدحه : " ويل أُمِّهِ مِسْعَرَ حـرب ..." [١] معناه الحرفى الدعاءُ عليه بالهلكة ؛ لأن الويل كلمة عذاب تقال لمن وقع في هلكة يستحقها ، وهذا المعنى لا يريده رسول الله – ﷺ – بل قصد من هذا التعبير مدحَ أبى بصير – ﷺ– ويلحظ هنا أن العرب قد جرت العادة عندهم أن يمدحوا بهـذه العبارة ، فالمتكلم يقصد المدح والمخاطَب يفطن إلى ذلك من غير تنبيـه المـتكلم عليه ، مما يدل على أن الجماعة اللغوية – وهم العرب هنا – كـأنهم اصـطلحوا على استعمال هذا التعبير في هذا المعنى، وهلم جرا...

وأصدق شاهد على تنوع معاني هذه التعبيـرات عنـد العـرب ، بحيـث يقصدون إلى غير معانيها الحرفية قولُ بديع الزمان الهمذانى : " وقـد يـوحِشُ اللفظ وكلُّه وُدٌّ ، ويُكرَه الشيء وليس من فعله بُدٌّ ، هذه العربُ تقول : لا أبَ لك ، للشيء إذا أَهَمَّ ، وقاتَله الله ، ولا يريدون الذمَّ ، وويلُ أُمِّـهِ ، للأمـر إذا تـمَّ . وللألباب في هذا الباب أن ينظروا إلى القول وقائله ، فإن كان ولياً فهـو الـولاء وإن خَشُنَ ، وإن كان عدواً فهو البلاء وإن حَسُن " [٢]

ذلك لأن مقامات الكلام تتفاوت تفاوتاً يفوق الحصر ، وتتعـدد المعـاني وتتباين بقدر ما يعتور النفس من الأفكار والأحوال ؛ ومن ثم بات للسياق أهميـة عظمى في الفصل بين هذه المعاني وتحديد المراد منها وبخاصـة فـي الحـديث النبوي ، فالسياق هو السبيل الذي يهتدي به الباحث إلى مقتضى الكلام . يستوي في ذلك السياقُ اللغوى والسياقُ الحالى ، يقول ابن دقيق العيد : " فَـإِنَّ السِّـيَاقَ طَرِيقٌ إِلَى بَيَانِ الْمُجْمَلَاتِ،وَتَعْيِين الْمُحْتَمَلَاتِ، وَتَنْزِيل الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهُ"[٣]

---

(١) ينظر البحث ص ٢١ .

(٢) إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي ١٤٨/٢ – تح:د/يحْيَى إسْمَاعِيل – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر – ط الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، وينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الـدين العينـي ٢١٢/٢ – دار إحيـاء التراث العربي – بيروت ، وتنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسـيوطي ٥٥/١ – المكتبـة التجارية الكبرى – مصر ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٢١٦/٢ – مطبعة السنة المحمدية – دون تاريخ .

إذاً ثَمَّ كلام جرى على ألسنة العرب اعتادت استعماله غير قاصدة حقيقة معانى كلماته، فَيذكرُونَ: تَربَتْ يداك، وقاتله الله مَا أشجعه، وَلَا أمَّ لَهُ، وَلَا أَب لَك، وثكلته أمه ، وويل أمه ، وَمَا أشبه هَذَا من ألفاظهم ، يَقُولُونَهَا عِنْد إِنْكَار الشَّيْء، والزجر عَنهُ، أَو الذَّم عَلَيْهِ، أَو استعظامه، أَو الْحَث عَلَيْهِ، أَو الْإِعْجَاب بِهِ[1].

هذا، وقد انتشرت بعض هذه التعبيرات في بطون السنة المطهرة ، وتنوعت مقاصدها الدلالية ، فجمعتها في هذا البحث ، وآثرت تقسيمها حسب المعاني السياقية المنبثقة عنها ، وهاك تحريرَ القول فيها :

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطى ٥٥/١ ، بتصرف .

المبحث الأول : الزجر والإغلاظ

تمهيد :

الزجر – في اللغة – كلمة تدل على الانتهار [١] . ومنه قولهم : زَجَرْتُ البعير حتى ثَارَ ومَضَى، أَزْجُرُهُ زَجْراً، وزَجَرْتُ فلاناً عن السُّوءِ ؛ فانْزَجَرَ. وهو كالرَّدْع للإنسان.[٢]

أما الإغلاظ فهو من الغلظة ، وهى الشدة [٣]. يقال : " أَغْلَظَ له في القول إِغْلاَظًا: عنَّفَهُ " [٤] ، " وأَغْلَظَ لَهُ في القَوْلِ : خَشَّنَ " [٥]

وقد جمعت في ظلال هذا المبحث التعبيرات الاصطلاحية الواردة في متون السنة النبوية المطهرة والتي دلت على معنى الزجر والإغلاظ ، وهاك تحريرَ القول فيها :

ارْكَبْها ويلَك

النص :

عن أبى هريرة – ﷺ – أن رسول الله – ﷺ – رأى رجلاً يسوق بدنة ، فقال : "ارْكَبْهَا . فقال الرجل : إنها بَدَنَة . فقال : ارْكَبْهَا . قال : إنها بدنة . قال : ارْكَبْها وَيْلَكَ، في الثالثة ، أو في الثانية " [٦].

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٤٧/٣ " ز ج ر " تح/عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣١٨/٤ دار صادر – بيروت – بتصرف .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٧٨/٥ " غ ل ظ " تح/عبد الحميد هنداوى– دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م .

(٤) المصباح المنير للفيومي ٤٥١/٢ " غ ل ظ " المكتبة العلمية – بيروت.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدى ٢٤٥/٢٠ " غ ل ظ " تح/مجموعة من المحققين – دار الهداية .

(٦) صحيح البخارى ١٦٨/٢ برقم ١٦٨٩ – كتاب الحج – باب ركوب البدنة – تح/ محمد زهير بن ناصر – شرح وتعليق:د/ مصطفى ديب البغا – دار طوق النجاة – ط الأولى ١٤٢٢هـ ، صحيح مسلم ٩٦٠/٢ برقم ١٣٢٢ – كتاب الحج – باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها – تح/ محمد فؤاد عبدالباقى – دار إحياء التراث العربى – بيروت .

المعنى اللغوى :

الشاهد في هذا النص الشريف قولُه – ﷺ – : " اركَبْها ويلَك " . و"الويل" عند أهل اللغة " كلمةُ عذاب " [١] " تقال لمن وقع في هلكة أو بلية ، لا يُترحم عليه معها"[٢] . و" قال عطاء بن يسار : الويلُ : وادٍ في جهنم لو أُرْسِلَتْ فيه الجبال لمَاعَتْ[٣] مِنْ حَرِّه "[٤]. " والويل حلول الشر . والوَيْلةُ: الفضيحة والبَلِيَّةُ. وقيل: هو تَفَجُّعٌ "[٥]

التحليل السياقى :

يتبين مما سبق أن " الويل " في اللغة كلمة عذاب تستعمل للدلالة على وقوع المخاطب بها في هلكة أو بلية يستحقها ، ولا يُترحم عليها معها ؛ ولذا كان أكثر استعمالاتها في الدعاء على المخاطب .

وعلى هذا التفسير اللغوي يكون ظاهرُ معنى قوله – ﷺ – : " ويلَك " الدعاءَ بالهلكة على هذا الصحابي – الذي أَبَى ركوبَ البدنة ؛ لأنه لم يمتثل أمر النبي – ﷺ – إياه بركوب البدنة في المرتين الأوليين .

لكن عند النظر إلى النص – على تروٍ – يتبين أن السياق يأبى المعنى اللغوى لهذا التعبير ، ويؤثر معنى آخر وهو زجر هذا الصحابي والإغلاظ له في القول ؛ لأنه لم يأتمر بأمر النبي – ﷺ – إياه مرتين بركوب البدنة [٦] .

---

(١) مختار الصحاح لزين الدين الرازي ص ٣٤٧ " و ى ل " – تح/ يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – الدار النموذجية – بيروت – صيدا – ط الخامسة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ٢٢٠/٧ " و ى ح " تح/مجموعة من المحققين – دار الهداية .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٩١/٥ " و ى ح " – تح/ محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربى – بيروت – ط الأولى ٢٠٠١م . وينظر : تاج العروس ٢٢٠/٧ " و ى ح " .

(٣) ماع الشيء أى : ذاب . ينظر : تهذيب اللغة للأزهرى ١٦٠/٣ " م ى ع " .

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ١٨٤٦/٥ " و ى ل " – تح/ أحمد عبد الغفور عطا – دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٨/٤ "و ى ح".

(٥) اللسان ٧٣٧/١١ " و ى ل " .

(٦) ينظر : إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٣٢٣/١ – تح/مصطفى شيخ مصطفى ، ومدثر سندس – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، وشرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك ٤٨٤/٢ – تح/ طه عبد الرءوف سعد – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ذلك لأن هذا التعبير إنما يجرى على ألسنة العرب من غير قصد إلى ما وضع له أولاً ، بل تدعم به العرب كلامَها دون إرادة وقوع الأمر به ، كقولهم : لا أُمَّ لك ، ولا أبَ لك، وتَرِبَتْ يداك . (١)

وإنما قال النبى – ﷺ – : " ارْكَبْهَا وَيْلَكَ " زجراً ، وتأديباً لأجل مراجعته رسول الله – ﷺ – مع عدم خفاء كونها بدنةً على النبي – ﷺ – (٢) ، ولم يكن قصدُه الدعاءَ عليه بالوقوع في الهلكة .

هذا ، وقد اتكأ السياق في استحسانه هذا المعنى (قصد الإغلاظ والزجر) على قرينتين لغويتين :

القرينة الأولى : ما ورد عن النبي– ﷺ – في السياق ذاته أنه قال للصحابي:" ارْكَبْهَا ويحَك " بدلاً من : " ارْكَبْهَا ويلَك " (٣) ، و" الوَيْحُ " عند أهل اللغة كلمةٌ تُستعمل في الرحمة (٤) ؛ ومن هنا قال أكثر أهل اللغة في التفريق بين " الويل " ، و" الويح " : " إن الويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لا يُترحم عليه معها، ووَيحٌ تقال لمن وقع في بلية يُرْثَى له ، ويدعى له بالتخلص منها " (٥) ؛ ومن ثم قال سيبويه : " والويح : زجرٌ لمن أشرف على الهلكة " (٦).

---

(١) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٧٤/٩ – ط الثانية ٢٣٩٢هـ – دار إحياء التراث – بيروت ، وعمدة القاري شرح صحيح البخارى لبدر الدين العيني ٢٩/١٠ – دار إحياء التراث العربى – بيروت .

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخارى لمحمد بن أحمد القسطلانى ٢١٤/٣ – تح/ محمد فؤاد عبد الباقى – المطبعة الأميرية الكبرى – مصر – ١٣٢٣هـ ، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعبد الله بن محمد عبدالسلام المباركفورى ٢٣١/٩ – إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية بنارس – الهند – ط الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، بتصرف.

(٣) صحيح البخارى ٧/٤ برقم ٢٧٥٤ – كتاب الحج – باب ركوب الدابة ، ومسند الإمام أحمد ٤٢٣/١٢ برقم ٧٤٥٢ – تح/ شعيب الأرنؤوط – وعادل مرشد، وآخرين – إشراف:د/عبدالله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٤٢١هـ /٢٠٠١م .

(٤) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس للأنبارى ١٣٩/١ – تح:د/ حاتم صالح الضامن – دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ، وتهذيب اللغة للأزهرى ١٩١/٥ " و ى ح " ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٨/٤ " و ى ح " ، وتاج العروس للزبيدى ٢٢٠/٧ " و ى ح " .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٩١/٥ " و ى ح " .

(٦) المرجع السابق الموضع نفسه ، وتاج العروس ٢٢٠/٧ " و ى ح " .

إذاً فقوله – ﷺ – على هذه الرواية – : " ارْكَبْهَا ويحَك " إنما قاله إشفاقاً وترحماً بهذا الرجل الذي استعظم ركوب البدن التي أهديت إلى الكعبة ، حتى كاد يهلِك ، ولم يُرِدِ الدعاءَ عليه بالهلاك ، كما هو ظاهر معنى " الويل " .

وإنما استعمل النبى – ﷺ – " الويلَ " – في حديث الباب بقصد الإغلاظ والزجر –؛ لئلا يقع في الهلكة ؛ لطول سفره .

القرينة الثانية : ما روى عن سيدنا أنس – ﷺ – أن النبى – ﷺ – رأى رجلاً يسوق بدنة وقد أجهده المشى، قال: "ارْكَبْهَا. قال: إنها بدنة . قال : ارْكَبْها ، وإن كانت بدنة " [١] .

فقول سيدنا أنس – ﷺ – : " يسوق بدنة وقد أجهده المشى " قرينة لغوية تشهد بأن المراد من قوله – ﷺ – : " ارْكَبْهَا ويلَك " الإشفاقُ على الرجل خشيةَ وقوعه في هلكة، وليس الدعاءَ عليه بالهلكة ، لكنه – ﷺ – آثر استعمالَ هذا التعبيرِ الاصطلاحي إغلاظاً له في المنطق ؛ ليسارع بامتثال الأمر ، لاسيما وقد راجع رسولَ الله –ﷺ– مرتين مستعظماً أن يركب بدنة أُهْدِيَتْ إلى الكعبة ؛ ومن ثم نبهه النبى – ﷺ – بقوله : "ارْكَبْهَا، وإن كانت بدنةً " .

وبعد ، فهاتان قرينتان جليتان تقضيان بأن الدلالة اللغوية لقوله –ﷺ –:" ارْكَبْهَا ويلَك " لا تتفق وبغيةَ السياق ، وإنما انصرف إلى إرادة الإغلاظ والتخشين في القول والزجر والتأديب. حَمَلَه على هذا رحمتُه – ﷺ – به ، فكأنه – ﷺ – قال له:"أشرفْتَ على الهلاك؛فاركبْ"[٢]؛"لأنه كان أشرف على هلكة من الجهد"[٣]

وهنا يمكن القول بأن المراد منه مجردُ الزجر ، لا الدعاء عليه . [٤]

---

(١) السنن الكبرى للنسائى ٧٢/٤ برقم ٣٧٦٩ – كتاب المناسك – ركوب البدنة لمن أجهده المشى – تح/ حسن عبد المنعم شلبى ، وشعيب الأرناؤوط – تقديم/عبد الله بن عبد المحسن التركى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفورى ٢١٣/٩ .

(٣) السابق الموضع نفسه .

(٤) ينظر : حاشية السندى على صحيح البخارى ٥٦٥/١ – تح/علي بن أحمد الكندري – الناشر: مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع ١٤٣٢هـ/2011م .

هذا ، وقد أثمر هذا التوجيه السياقى حكماً فقهياً ، حيث ذهب جمهور العلماء إلى أن الأمر في قوله – ﷺ –: " ارْكَبْهَا ويلَك " للإرشاد إلى مصلحة دنيوية، وليس للوجوب[١]. لكنه استحق الذم؛ لتوقفه عن امتثال الأمر[٢].

ولما تمحض الأمر ههنا للإرشاد دل هذا على جواز ركوب الهدى سواء كان واجباً أو متطوَّعاً به؛ لكونه – ﷺ – لم يسأل صاحبَ الهَدْيِ عن تفصيل ذلك، فدل على أن الحكم لا يختلف بذلك .[٣]

(١) ينظر : إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى ٢١٣/٣ ، وشرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك ٤٣٠/٢ .

(٢) شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك ٤٣٠/٢ ، ٤٣١ ، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفورى ٢١٢/٩ .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ٥٣٧/٣ – دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ .

عَقْرَى حَلْقَى

النص :

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : " كنا خرجنا مع النبـــي – ﷺ – ولا نرى إلا الحج ، فقدم النبىُّ – ﷺ – فطاف بالبيت ، وبين الصفا والمروة [١]، ولم يَحِلَّ ، وكان معه الهَدْىُ ، فطاف من كان معه من نسائه وأصـــحابه ، وحَـــلَّ منهم من لم يكن معه الهدْى ، فحاضت هى ، فنَسَكْنَا مناسكَنا من حجِّنا ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ لَيْلَةُ النَّفْرِ ، قالت : يا رسول الله ، كُلُّ أَصْحَابِكَ يَرْجِعُ بِحَجٍّ وَعُمْـــرَةٍ غَيْرِي ؟ قال : مَا كُنْتِ تَطُوفِين بِالْبَيْتِ لَيَالِيَ قَدِمْنَا ؟ قالت : لا . قال : فَاخْرُجِي مَعَ أَخِيكِ إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهِلِّي بِعُمْرَةٍ ، وموعدُكِ مكان كذا وكذا . فَخَرَجْتُ مَـــعَ عَبْـــدِ الرَّحْمَنِ إِلَى التَّنْعِيمِ ، فَأَهْلَلْتُ بِعُمْرَةٍ ، وَحَاضَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ ، فقال النبى – ﷺ – : عَقْرَى حَلْقَى ، إِنَّكِ لَحَابِسَتُنَا، أَمَا كُنْتِ طُفْتِ يَوْمَ النَّحْرِ؟ . قالت : بلى . قال : فَلاَ بَأْسَ انْفِرِي . فَلَقِيتُهُ مُصْعِدًا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا مُنْهَبِطَةٌ، أَوْ مُصْـــعِدَةٌ، وَهُـــوَ مُنْهَبِطٌ " [٢]

المعنى اللغوى :

قوله – ﷺ – : " عَقْرَى حَلْقَى " مصدران كدَعْوَى [٣] منصوبان على أنهما مفعولان مطلقان ، أو هما خبران مرفوعان ، أى : أنتِ عَقْرَى حَلْقَى.

أما الدلالة اللغوية لهما فمأخوذة من قولهم : " عَقَرَها اللهُ . وحَلَقَهَا ، أى : حَلَقَ شعرَها " [٤] ومعنى " عَقَرَهَا اللهُ ، أى : عَقَرَ اللهُ جسدَها " [٥]

---

(١) أى : وَسَعَتْ بين الصفا والمروة .

(٢) صحيح الإمام البخارى ٦٢٥/٢ برقم ١٦٧٣ – كتاب الحج – باب : إذا حاضـــت المـــرأة بعدما أفاضت – د/مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير ، اليمامـــة – بيـــروت – ط الثالثـــة ١٤٠٧ هـــ – ١٩٨٧ م .

(٣) ينظر : لسان العرب ٥٩٧١/٤ " ع ق ر " ، وتاج العروس للزبيدى ١٠٥/١٣ " ع ق ر " .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٨٤/١ "ع ق ر"، ولسان العرب ٥٩٧١/٤ "ع ق ر".

(٥) تاج العروس ١٠٥/١٣ " ع ق ر " ، وينظر : العين للخليل بن أحمد ١٥٢/١ " ع ق ر " – تح:د/مهدى المخزومى ، ود/إبراهيم السامرائى – دار ومكتبـــة الهـــلال ، وإصـــلاح غلـــط المحدثين للخطابى ص ٥٣ – تح:د/ محمد على عبد الكريم الروينى – دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٧هـــ .

وقد أصَّل ابن جني – رحمه الله – هذا المعنى ، فقال : " الأصل فيه أن المرأة كانت إذا أصيب لها كريم حَلَقَتْ رأسَها ، وأخذت نعليها تضرب بهما رأسها وتَعْقِرُهُ ، وعلى ذلك قول الخنساء [١]:

فلا وأبيكَ ما سَلَّيْتُ نفسي ∴ بفاحِشَةٍ أتَيْتُ وَلا عُقُوقِ

ولكنّي وجدتُ الصَّبرَ خيراً ∴ مِنَ النّعلَين والرّأسِ الحَليقِ

يريد : إن قومى هؤلاء قد بلغ بهم من البلاء ما يبلغ المرأةَ المعقورةَ المحلوقةَ . ومعناه: أَهُمْ صاروا إلى حال النساء المعقورات المحلوقات " [٢].

وقيل : " العَقْرَى : التي لا تلد ، من العُقْرِ " [٣] والحَلْقَى ، أى : " أصابها الله بوجع في حَلْقِها " [٤].

وقال الزمخشرى : " هما صفتان للمرأة إذا وُصِفْت بالشؤم . يعنى أنها تَحْلِقُ قومَها وتَعْقِرُهُمْ ، أى : تستأصِلُهم من شؤمها عليهم " [٥].

المعنى السياقى :

يتضح مما سلف أن هذا التعبير الاصطلاحى تستعمله العرب في ذم المرأة وشتمها، وأن هذه المرأة مشؤومة ومؤذية .

وهنا سؤال مُلِحٌّ : هل يُتصور ههنا أن يكون رسولُ الله – ﷺ – قَصَدَ الإخبارَ أو الدعاءَ على أم المؤمنين السيدة صفية – رضى الله عنها – أن يصيبها خَطْبٌ جَلَلٌ في كريم لها حتى تعقرَ جسدَها ، وتحلقَ رأسها ، أو تصيرَ عقيماً ويصيبَها أَلَمٌ في حَلْقِها ، فتصبح امرأةً شؤماً تستأصل قومَها ؛ لأنها حاضت وكادت تحجز القوم عن الرجوع إلى المدينة المنورة ؟

---

(١) البيتان من بحر الوافر ، وهما للخنساء ، وقد روى الشطر الأول : .... ما سَلَبْتُ صدرى . وذلك في ديوان الخنساء ص ٧٩ – المكتبة الثقافية – بيروت – دون تاريخ .

(٢) لسان العرب ٥٨/١٠ " ح ل ق " .

(٣) إصلاح غلط المحدثين للخطابى البستى ص ٥٣ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهرى ١٤٥/١ " ع ق ر " ، وينظر : اللسان ١٠ / ٥٨ " ع ق ر " .

(٥) الفائق فى غريب الحديث له ١٠/٣ – تح/على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان .

الجواب – مؤكداً – لا ؛ ومن هنا أعرض السياق عن هذا المعنى اللغوى؛ ليصطفى دلالة أخرى ، وهى إرادة الإغلاظ والتعنيف والتشديد على السيدة صفية – رضى الله عنها – لأنه – ﷺ – ظن أنها أَخَّرَتْ طوافَ الإفاضة تقصيراً منه [١]؛ لأنها لو لم تكن طافت طواف الإفاضة ؛ لحبستهم أسبوعاً حتى تَطْهُرَ ، والناس كلهم – في الحج – مجتمعون ، ولن ينفر أحد قبل أن ينفر رسولُ الله –ﷺ– فتحصل للناس مشقة عظيمة.[٢]

كل ذلك جعل النبىَّ – ﷺ – يغلظ إليها في القول مستعملاً هذا التركيب اللغوى، ولم يرد الدعاءَ عليها .

ويشفع لهذا التوجيه السياقى – (قصد الإغلاظ) دون المعنى اللغوى المتبادر للأذهان – ثلاثُ قرائن لغوية :

القرينة الأولى : حيث روى عن يزيد بن أوس قال : " دَخَلْتُ على أبى موسى وهو ثقيل [٣] فذهبَتْ امرأتُه ؛ لتبكى ، أو تَهُمُّ به [٤] ، فقال لها أبو موسى : أما سَمِعْتِ ما قال رسولُ الله – ﷺ – ؟ قالت : بلى . قال : فَسَكَتَتْ . فلما مات أبو موسى ، قال يزيد: لَقِيتُ المرأةَ ، فقلتُ لها : ما قولُ أبى موسى لكِ : أما سَمِعْتِ ما قال رسول الله – ﷺ – ثم سكَتِّ ؟ قالت : قال رسولُ الله – ﷺ – : ليس منا من حَلَقَ ، ومن سَلَقَ ، ومن خَرَقَ [٥] " [٦] .

---

(١) ينظر : حاشية السندى على صحيح البخارى ١/ ٥٨١ – دار الفكر – بيروت .

(٢) شرح الأربعين النووية للشيخ عطية محمد سالم – شرح صوتى – درس رقم ٨٥ – المكتبة الشاملة .

(٣) يقال: ثَقُل الرجلُ ثِقَلاً، فهو ثَقِيل وثاقل : اشتدَّ مَرَضُه . لسان العرب ٨٥/١١ " ث ق ل"، وينظر : شرح سنن أبى داوود لبدر الدين العيني ٥٧/٦ – تح/ أبى المنذر خالد بن إبراهيم المصري – – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م .

(٤) أى : بالبكاء . شرح سنن أبى داود لبدر الدين العيني ٥٧/٦.

(٥) أى : ليس من سنتنا رفع الصوت في المصائب ، ولا حلق الشعر ، ولا خرق الثياب . تهذيب اللغة للأزهرى ٣٨/٤ " ح ل ق " .

(٦) سنن أبى داود ١٦٣/٣ برقم ٣١٣٢ – كتاب الجنائز – باب النوح – دار الكتاب العربى – بيروت – وزارة الأوقاف المصرية .

فقوله – ﷺ – : " ليس منا من حَلَقَ " قرينة لغوية تضمنت نهياً عن حلق المرأة رأسها عند تعرضها لمصيبة ، إذ المعنى : " ليس من أهل سنتنا من حلق شعره عند المصيبة إذا حلَّت به"[١] فلا يستقيم أن ينهى النبىُّ – ﷺ – عن اقتراف ما يدل على السخط ، من العقر والحلق ، ثم يدعو به على زوجه صفية – رضى الله عنها – مما يدل على أن هذا التعبير ظاهره الدعاء، وليس بمراد حقيقته[٢].

القرينة الثانية : وذلك أنه – ﷺ – قال للسيدة صفية – رضى الله عنها – : " عَقْرَى حَلْقَى " لمَّا علم أنها حاضت ، ولم يكن رسولُ الله – ﷺ – ليدعوَ عليها لأمر قد كتبه الله – ﷻ – عليها .

يشهد لهذا أن السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت : " خرجْنَا لا نرى إلا الحجَّ ، فلما كنا بِسَرِفٍ [٣] حِضتُّ ، فدخل علىَّ رسولُ الله – ﷺ – وأنا أبكي ، قال : ما لكِ ؟ نُفِسْتِ ؟ . قلتُ : نعم . قال : إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ، فاقضي ما يقضي الحاجُّ غيرَ أن لا تطوفي بالبيت " [٤] فكيف يُسَرِّى عن السيدة عائشة –رضى الله عنها – بقوله : " إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ... " ، ثم تراه – في الأمر نفسه – يُثَرِّبُ على السيدة صفية ؟ فالرسول – ﷺ – لا يدعو على زوجة من زوجاته بهذه الألفاظ ؟ بل هى كلمات تجرى على الألسنة دون إرادة معناها اللغوى .

---

(١) شرح سنن أبى داود للعيني ٧٥/٦ .

(٢) ينظر : فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٨٩/٣ .

(٣) سَرِفٌ : هو موضع على ستّة أميال من مكّة، وقيل: سبعة ، وتسعة ، واثني عشر، تزوّج به رسول الله – ﷺ – ميمونة بنت الحارث ، وهناك بَنَى بها ، وهناك توقيت . معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٢١٢/٣ – دار صادر– بيروت – ط الثانية ١٩٩٥م .

(٤) صحيح البخارى ١١٣/١ برقم ٢٩٠ – كتاب الحيض – باب : كيف كان بدء الحيض ، وقول النبى – ﷺ – : " هذا شئ كتبه الله على بنات آدم " .

القرينة الثالثة : لغوية أيضاً ، وذلك أن النبى – ﷺ – لما حاضت صفيةُ قال: " إنكِ لحابستُنا ، أما كنتِ طُفْتِ يوم النحر ؟ " والاستفهام فيه على معنى الإنكار والإشفاق من شر يُتوقع " [١]

وبعد ، فتلك قرائن تمنع إرادة المعنى اللغوى لقوله – ﷺ – : " عَقْرَى حَلْقَى " ، وترجح قصد التعنيف والتشديد والتثريب على أم المؤمنين صفية – رضى الله عنها – إذ ظن أنها لم تَطُفْ ، فتؤخرِ الركبَ كلَّه .

هذا ، ويستنبط من هذا التأويل السياقى جوازُ توبيخ الرجل أهلَه على ما يدخل على الناس بسببها . [٢]

---

(١) مشكلات موطأ مالك ص ١٤٤ – تح/طه بن على بوسريح ا.تونسى – دار ابن حزم – لبنان – بيروت – ط الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال البكرى ٤٢٨/٤ – تح / أبي تميم ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد – السعودية – الرياض – ط الثانية – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

قاتل الله سَمُرَة

النص :

عن ابن عباس – ﷺ – قال : " بلغ عمرَ أن سَمُرَةَ باع خَمْراً ، فقال : قاتلَ اللهُ سَمُرةَ ، ألم يعلمْ أنَّ رسولَ الله – ﷺ – قال : لَعَنَ اللهُ اليهودَ ؛ حُرِّمَتْ عليهم الشحوم ، فجَمَلُوها [١] ، فباعوها ؟ " [٢]

المعنى اللغوى :

قول الفاروق – ﷺ – : " قاتلَ اللهُ سَمُرَةَ " : يرجع الفعل " قَاتَل " عند أهل اللغة إلى ثلاثة معانٍ :

الأول : " يقال : قاتلَ اللهُ فلاناً : قَتَلَهُ " [٣] ، و" القتلُ معروف ، يقال : قَتَلَهُ : إذا أماته بضرب ، أو حجر ، أو سُمٍّ ، أو عِلة " [٤]

الثاني : يقال : " قاتلَ اللهُ فلاناً ، معناه : لَعَنَ اللهُ فلاناً . قال الله – ﷻ – : ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [٥] . قال الفراء : لُعِنَ الإنسان " [٦] . ومنه" قوله –ﷻ– : ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [٧] أى : لعنهم الله أنى يُصرفون " [٨]

الثالث : المعاداة ، ومنه قولهم : " قاتلَ اللهُ فلاناً : عاداه الله " [٩]

---

(١) أى : أذابوها . يقال : " جَمَلَهُ يَجْمُلُهُ جَمْلاً – وأجْمَلَهُ – : أذابه . المحكم والمحيط الأعظم ٤٥١/٧ " ج م ل " ، واللسان ١١ / ١٢٣ " ج م ل " .

(٢) صحيح مسلم ١٤٤/٨ – تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، وسنن ابن ماجه ١١٢٢/٢ برقم ٣٣٨٣ – كتاب الأشربة – باب تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت . واللفظ لابن ماجه .

(٣) تهذيب اللغة للأزهرى ٩ / ٦٢ " ق ت ل " ، واللسان ٥٥٢/١١ " ق ت ل " ، وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس لأبى بكر الأنبارى ١ /٢٥٧ – تح:د/حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م ، وتاج العروس ٢٤٣/٣٠ " ق ت ل " .

(٤) تهذيب اللغة ٦٢/٩ " ق ت ل " .

(٥) عبس : الآية ١٧ .

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبى بكر الأنبارى١ /٢٥٧ ، وينظر: التهذيب للأزهرى ٦٢/٩ "ق ت ل".

(٧) التوبة : من الآية ٣٠ ، والمنافقون : من الآية ٤ .

(٨) اللسان ١١ / ٥٥٢ " ق ت ل " ، وتاج العروس ٣٠ / ٢٣٤ " ق ت ل " .

(٩) الزاهر في معاني كلمات الناس للأنبارى ٢٥٧/١، وينظر: اللسان ٥٥٢/١١ "ق ت ل".

التحليل السياقى :

من هذا يتبين أن " قَاتَلَ " لا يخرج – في اللغة – عن هذه المعاني الثلاثة : القتل، اللعن ، المعاداة .

وإذا عرضتَّ هذه المعانى على نص الحديث ألفيت السياق قد مَجَّهَا جميعاً، وأعرض عنها ، ثم إن نقبْتَ عنه في مظانه تَجَلَّى لك أن سياق الكلام يستحسن دلالة أخرى وهى إفادة الإغلاظ والزجر ؛ لأن هذا التعبير اللغوى (قاتله الله) تقوله العرب عند إرادة الزجر ، وليس على حقيقته . (١) فقاله الفاروق – ﷺ – في حق سَمُرَة – ﷺ – إلإغلاظ له فى القول ، وزجراً له . (٢)

وذلك لأن سَمُرَةَ بن جُنْدُب – ﷺ – إما أن يكون أخذ خمراً من أهل الكتاب عن قيمة الجزية ، فباعها معتقداً جواز ذلك ، وكان ينبغي له أن يولى أهلَ الكتاب بيعَ الخمر؛ حتى لا يقع في محظور ، ثم يأخذ أثمانها منهم بعد ذلك ، (٣) أو أن سمرة – ﷺ – باع خمراً قد عالجها فصارت خَلَّاً ، فرآه عمرُ خلاً لا يحل بيعه ، وهنا ذكَّره الفاروقُ بتحايل اليهودِ على أحكام الله – ﷻ – حيث حُرِّمَتْ عليهم شحومُ الأنعام ، فاحتالوا ، فأذابوها حتى تصيرَ وَدَكَاً (٤)، وينفكَّ عنها اسمُ الشحم ، واستحلوا بيعَها وأكْلَ أثمانها . (٥)

وفى كلا الأمرين اجتهد سَمُرَة – ﷺ – ، لكنه لما أخطأ نبهه الفاروق بقوله : "قاتلَ اللهُ سَمُرَةَ" على معنى الإغلاظ والزجر ، وليس هذا المصطلح على معناه اللغوى ، من قصد الدعاء عليه باللعن ، أو القتل ، أو المعاداة .

ويعضد هذا التوجيه السياقى قرينة حالية يكمن في أن سيدنا عمر – ﷺ – لمَّا بلغه فِعْلُ سَمُرَةَ أَقَرَّهُ على عمله ولم يعزلْه ؛ لأنه لم يفعله عن علم ، ولو

---

(١) ينظر : عمدة القارى للعينى ١٢/ ٣٧ – الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
(٢) ينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٤١٥/٤ ، وعمدة القارى للعينى ١٢ /٣٧ .
(٣) ينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٤١٤/٤ .
(٤) الْوَدَكُ : دَسَمُ اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ وَهُوَ مَا يَتَحَلَّبُ مِنْ ذَلِكَ. المصباح المنير للفيومى٧٥٣/٢"ودك".
(٥) ينظر : غريب الحديث للخطابى ٨٥/٢ ، ٨٦ – تح/عبد الكريم إبراهيم الغرباوى – جامعة أم القرى – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ .

استشعر الفاروقُ – ﷺ – تَعَمُّدَ سَمُرَةَ لَمَا أبقاه في ولايته ، لكنه اكتفى بتعنيفه وذمه بهذه العبارة إشعاراً له بخطئه[١] دون قصد معناها التي وضع لها .

ثَمَّت قرينة حالية أخرى ، وذلك أنه لا يليق بالفاروق – ﷺ – أن يلعن أخاه المسلم – الذي اجتهد في حكم فقهى – وقد علم تحريم لعنه .

وبهاتين القرينتين يثبت أن المراد من هذا التعبير الاصطلاحي إظهارُ الغضب للتنبيه على أنه جهلٌ في غير محله ، واللائق بحال العاقل أن لا يجهل مثله ، وإن يجهل فلا يباشر مثلَ هذا العمل إلا بعد التفتيش عن حقيقته . [٢]

هذا ، ويستفاد من هذا التأويل السياقى إبطالُ كل حيلة يُتوصل بها إلى محرم ، وأنه لا يتغير حكمه بتغير هيئته وتبديل اسمه . [٣]

---

(١) ينظر : عمدة القارى للعينى ٣٧/١٢ .

(٢) حاشية السندى على سنن ابن ماجه لمحمد بن عبد الهادي السندي ٢ / ٣٣٠ – دار الجيل – بيروت – دون تاريخ ، بتصرف .

(٣) السابق الموضع نفسه .

قَتَلَ اللّهُ سعداً

النص :

اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وبينهم سعد بن عبادة ، واجتمع إليهم المهاجرون – بعد وفاة النبي – ﷺ – فقام خطيب الأنصار يُثنى عليهم حتى أجلسه أبو بكر الصديق – ﷺ – وذكَّره بأن العرب لا تَدين بالإمارةِ إلا لهذا الحيِّ من قريش ، ورشح لهم أبا عبيدة بن الجراح ، وعمرَ بنَ الخطاب – رضى الله عنهما – يختارون أيَّهما شاءوا ... فقام رجل من الأنصار يُثنى على نفسه...يقول الفاروق – ﷺ – : "فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ... قَالَ : وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، حَتَّى خَشِيتُ الِاخْتِلَافَ ، فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدًا ، فَقُلْتُ: قَتَلَ اللهُ سَعْداً. وَقَالَ عُمَرُ – ﷺ – : أَمَا وَاللهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا أَمْرًا هُوَ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ –ﷺ– خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ ، وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ ، أَنْ يُحْدِثُوا بَعْدَنَا بَيْعَةً، فَإِمَّا أَنْ نُتَابِعَهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى، وَإِمَّا أَنْ نُخَالِفَهُمْ فَيَكُونَ فِيهِ فَسَادٌ " (١)

المعنى اللغوى :

قول الفاروق – ﷺ – : " قتل الله سعداً " مأخوذ من القتل ، يقال : " قَتَلَهُ : إذا أماته بضرب ، أو حجر ، أو سُمٍّ ، أو علة " (٢)

التحليل السياقى :

إذا دل " القتل " – عند أهل اللغة – على إزهاق الأرواح بوسيلة ما ، فهل هذا مراد الفاروق – ﷺ – من قوله : " قتلَ اللهُ سعداً " هل يريد الدعاء عليه ؟

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٥٣/١ ، ٤٥٤ – تح : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرين – إشراف :د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر : مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، وصحيح ابن حبان ١٤٥/٢ برقم ٤١٣ – تح/شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. واللفظ للإمام أحمد.

(٢) تهذيب اللغة للأزهرى ٦٢/٩ " ق ت ل " .

إن من تدبر هذا النص أدرك أن السياق يستبعد حمل هذا التركيب على معناه اللغوى من الدعاء على سعدٍ بالقتل ، ويؤثر معنى الزجر والإغلاظ في القول على سيدنا سعد بن عبادة – ﷺ – .

وقد آزرَ هذا التفسيرَ قرينتان :

إحداهما : حالية ، وذلك أن سعدَ بنَ عبادة – ﷺ – أراد في ذلك المقام أن يُنَصَّبَ أميراً على قومه على مذهب العرب في الجاهلية ألا يسود القبيلة إلا رجل منها ، حتى قال أحدهم : " منا أمير ومنكم أمير " وكان حكم الإسلام خلافَ ذلك ، فرأى سيدنا عمرُ – ﷺ – إبطالَه بأغلظ ما يكون من القول وأشنعِه . وكلُّ شيء أبطلت فِعْلَهُ وسلبتَ قُوَّتَه ، فقد قتلتَه وأَمَتَّه . (١) ولم يُرِدِ الفاروقُ – ﷺ – الدعاءَ على سيدنا سعد بقتله حقيقة . (٢) وإنما قالها الفاروقُ – ﷺ – لمَّا رأى الناس يدوسون سعدَ بن عبادة ويطئونه بأقدامهم من الازدحام على مبايعة أبى بكر – ﷺ – حتى قال أحدهم : " قتلتُم سعداً " ، أى : كدتم تقتلونه . وقيل : هو كناية عن الإعراض والخذلان . (٣)

وعلى هذا التوجيه يكون المعنى السياقى:"أى: اجعلوه كمن قتل، واحسبوه في عداد من مات وهلك، ولا تعتدوا بمشهده، ولا تعرِّجوا على قوله"(٤)

والثانية : لغوية ، وردت في سياق حديث الباب ، وحملت الفاروقَ – ﷺ – على استعمال أغلظ التعابير في ردِّ سعد بن عبادة عن تطلعه إلى الإمارة ، حيث

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٤٦٥/٨ ، ٤٦٦ ، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن على ٢٢٩/٣١ – تح/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا – ط الأولى١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، بتصرف فيهما .

(٢) ينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٧ /٣٢ .

(٣) ينظر : السابق الموضع نفسه .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير ١٣/٤ – تح : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، وينظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لعبد الرحمن بن علي الجوزي ٧١/١ – تح : علي حسين البواب – الناشر: دار الوطن – الرياض .

قال – ﷺ – : " وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، حَتَّى خَشِيتُ الاخْتِلافَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَهُ الْأَنْصَارُ "

وبعد ، فهاتان قرينتان جليتان دلتا معاً على انصراف هذا التعبير الاصطلاحي عن معناه اللغوى ، وحَمْلِه على معنى الإغلاظ في المنطق والزجر لسعد بن عبادة – ﷺ – خشية وقوع فتنة بين المسلمين .

المبحث الثاني : المدح والتقريظ

تمهيد :

المَدْح – في اللغة – : نقيض الهجاءِ ، وهو حُسْنُ الثناءِ[١]. يقال : مَدَحَه يَمْدَحه مَدْحاً: أحسَنَ عليه الثَّناء. [٢]

أما التَقْرِيظُ – عند أهل اللغة – فهو مدح الإنسان وهو حَيٌّ ... وقَرَّظَ الرجلَ تقريظاً مدحَه ، وأَثنى عليه . مأْخوذ من تقريظ الأَديم يُبالَغُ في دِباغِه بالقَرَظِ . وهما يَتقارظَانِ الثناءَ. [٣]

هذا ، وقد انتشرت في تضاعيف متون السنة تعبيرات اصطلاحية دلت فى معانيها السياقية على المدح والتقريظ ، وإليك معالجتها :

وَيْلُ أُمِّه

النص :

في صلح الحديبية تعاهد رسول الله – ﷺ – مع سهيل بن عمرو مندوب قريش، فكان من بنود هذا العهد أن ما كتب سهيل بن عمرو : " وعلى أنه لا يأتيكَ منا رجلٌ ، وإن على دينك إلا رددتَّه إلينا ... ثم رجع النبيُّ – ﷺ – إلى المدينة ، فجاءه أبو بَصِيرٍ – رجل من قريش وهو مسلم – فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهدَ الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحُلَيْفةِ ، فنزلوا يأكلون من تَمْرٍ لهم ، فقال أبو بَصِير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفَك هذا – يا فلان – جيداً ، فاسْتَلَّهُ الآخرُ ، فقال : أجل ، والله إنه لجيد، لقد جَرَّبْتُ به، ثم جَرَّبْتُ ، فقال أبو بَصِير : أَرِنِي أنظرْ إليه ، فأمْكَنَه منه ، فضربه حتى بَرَدَ ، وفرَّ الآخرُ حتى أتى المدينةَ ، فدخل المسجدَ يَعْدُو . فقال رسول الله – ﷺ – حين رآه – : لقد رأى هذا ذُعْرَاً . فلما انتهى إلى النبي – ﷺ – قال : قُتِلَ – واللهِ – صاحبي ، وإني لمقتول . فجاء أبو بصير ، فقال: يا نبيَّ

---

(١) ينظر : لسان العرب ٥٨٩/٢ " م د ح " .
(٢) مقاييس اللغة لابن فارس٣٠٨/٥"م د ح"بتصرف، وينظر: لسان العرب ٥٨٩/٢ "م د ح".
(٣) لسان العرب ٤٥٤/٧ " م د ح " .

الله ، قد – واللهِ – أوفى اللهُ ذمتَك ، قد رددتني إليهم ، ثم نجاني اللهُ منهم . قال النبيُّ – ﷺ – : ويل[١] أمه مِسْعَرَ حَرْبٍ ، لو كان له أَحَد ... " [٢]

المعنى اللغوى :

قوله – ﷺ – : " وَيْلَ أُمِّهِ " موضع الشاهد ههنا . و" الويل " في اللغة : "كلمة عذاب " [٣] " تقال لمن وقع في هلكة ، أو بلية لا يُترحم عليه معها " [٤] ، أو هو " واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لمَاعَتْ من حَرِّهِ " [٥]

التحليل السياقى :

قول النبي – ﷺ – : " وَيْل أُمِّهِ " ظاهره الدعاء على أبى بَصِير – ﷺ – بالهلكة، أو الإخبار عنه بالهلكة ، لكن من نظر إلى النص على تريث استبان له أن هذا التعبير الاصطلاحى ليس على حقيقته اللغوية من الدعاء عليه بالهلاك ، وأنه رشح معنى آخر ، وهو مدْحُ النبيِّ – ﷺ – أبا بصير – ﷺ – . [٦]

فالنبى –ﷺ– لم يُثَرِّبْ عليه، بل قصد الثناءَ عليه؛ لحسن تخلصه من الرجلين اللذين جلباه إلى مكة، حيث قَتل أحدَهما، واستاق الآخرَ إلى المدينة المنورة.

---

(١) ويل أمه : روى برفع اللام ، خبر لمبتدأ محذوف ، أى : هو ويلُ أمه . وروى : ويلَ أمه ، بنصب اللام على أنه مفعول مطلق . ينظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخارى لأحمد بن محمد القسطلانى ٤٥٢/٤ – المطبعة الأميرية – مصر – ط السابعة ١٣٢٣هـ .

(٢) صحيح البخارى ٩٧٤/٢ برقم ٢٥٨١ – كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط – تح : د/ مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ط الثالثة ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٦١/١٠ " و ى ل " ، ومختار الصحاح للرازي ص٣٤٧ " و ى ل "، وتاج العروس ٢٢٠/٧ " و ى ل " .

(٤) تهذيب اللغة للأزهرى ١٩١/٥ " و ى ل " ، وينظر : تاج العروس ٢٢٠/٧ " و ى ل " .

(٥) الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري ١٨٤٦/٥ " و ى ل " تح : أحمد عبد الغفور عطار – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٨/٤ "و ى ح".

(٦) ينظر : المسالك فى شرح موطأ مالك للقاضى الإشبيلى ٢٢٠/٢ – تعليق : محمد بن الحسين السليمانى ، وعائشة بنت الحسين السليمانى – تقديم:د/يوسف القرضاوى – دار الغرب الإسلامى – ط الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، وشرح سنن ابن ماجه لمغلطاى ٧٨٦/١ – تح/كامل عويضة – مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – ط الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٦٥/١٧ .

فقوله –ﷺ–:" ويل أُمِّهِ " هى في الأصل كلمة ذم ، لكن العرب تقولها في المدح ، ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم؛ لأن الويلَ الهلاكُ، وهو غير مراد هنا[١]

ثَمَّ معنى آخر يستملحه السياق ، وذلك أن يُحمل هذا التركيبُ على معنى التعجب ، وذلك أن النبى – ﷺ – تعجب من حسن نهضته للحرب وجودة معالجته لها مع ما فيه من خلاصه من أيدي العدو . [٢] فالعرب – أيضاً – كانت تتعجب بهذه الكلمة ، ولا يريدون بها الذم .[٣]

ويشفع لهذين المعنيين (المدح والتعجب) قرينة لغوية تبرز من وصف النبى – ﷺ – أبا بصير – ﷺ – بقوله : "مِسْعرَ حرب" ، "يصفه – ﷺ – بالمبالغة في الحروب وجودة معالجتها وسرعة النهوض فيها . يقال : فلانٌ مِسْعَرُ حرب، إذا كان أولَ من يُوقد نارَها، ويُصْلِى حَرَّها،من قولك: سَعَرْتُ النار، إذا أوقدتها"[٤]

ناهيك عن ورود هذا النعت في صيغة اسم الآلة الدال على الآلة التي ينجز بها الفعل ، وكأن أبا بصير – ﷺ – قد أضحى والشجاعة ديدن له لا تنفك عنه ، فهو يزاول الحروب ويوقدها حتى بلغ الأمرُ أن استثار تعجُّبَ النبي – ﷺ – واسترعى نظرَه فاستدرَّ مَدْحَهُ، وتقريظَه .

ثم إنه – ﷺ – قال : " لو كان له أحد " إلماحاً منه إلى أبى بصير – ﷺ – أنه لو بقى معه سيرده إلى قريش ، وإشعاراً بأنه لا يؤويه ولا يعينه ، وإنما خلاصه أن يستظهر عليهم بمن يعينه على محاربتهم . [٥]

---

(١) ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٩٨/٢ – المكتبة العتيقة ودار التراث – دون تاريخ ، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٦٥/١٧ ، ونيل الأوطار لمحمد بن على الشوكانى ٥٥/٨ – تح/عصام الدين الصباطى – دار الحديث – مصر – ط الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٢) ينظر : معالم السنن للخطابى٣٣٣/٢ – المطبعة العلمية – حلب – ط الأولى ١٣٥١هـ /١٩٣٢م ، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٧٣٧ " و ى ل " ، ومرقاة المفاتيح للملا على القارى ٢٦١٨/٦ – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٢٥٤/٦ – تح/دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر – ط الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، بتصرف .

(٤) معالم السنن للخطابى ٣٣٣/٢ ، وينظر : لسان العرب ٣٦٥/٤ " س ع ر " .

(٥) ينظر : مرقاة المفاتيح للملا على القارى ٢٦١٨/٦ .

هَبِلَتِ الوادِعِىَّ[١] أُمُّهُ

النص :

عن ابن الأقمر قال:"أغارتِ الخيلُ بالشام ، فَأَدْرَكَتِ العِرَابُ[٢] من يومها ، وأدركتِ الكَوَادِنُ[٣] ضُحَى غَدٍ ، فقال ابنُ أبى خَمِيصَة : لا أَجْعَلُ مَنْ أَدْرَكَ كَمَن لم يُدرِكْ. فكتب إلى عمر، فقال عمرُ: هَبِلَتِ الوادِعِىَّ أُمُّهُ، لقد أَذْكَرَتْ به، أمضُوها على ما قال"[٤]

المعنى اللغوى :

شاهد هذا النص قولُ الفاروق – ﷺ – : " هَبِلَتِ الوادِعِىَّ أُمُّهُ " . يقال – في اللغة – : " هَبِلَتْهُ أُمُّهُ – كفَرِحَ – : ثَكِلَتْهُ ، هَبَلاً – محركة " [٥] . " والهَبَلُ : الثُّكْل . هَبِلَتْ أُمُّهُ هَبَلاً ، فهى هَابِلٌ وهَبُولٌ " [٦]

التحليل السياقى :

اتكاءً على هذا التفسير اللغوى تقضى النظرة المتعجلة لهذا التعبير الاصطلاحي " هَبِلَتِ الوادِعِىَّ أُمُّهُ " بأن معناه : فَقَدَتِ الوادعىَّ أمُّه ، وأن سيدنا

---

(١) نسبة إلى قبيلة وادعة ، وهى بطن من همدان . لب الألباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي ص ٢٧٠ – دار صادر – بيروت.

(٢) الخيل العِرَابُ ، أى : العربية الأصيلة الخالصة ، وليست بالهجينة . يقال : " خيل عِرَاب : معرَّبة ، وإبل عِرَاب كذلك " . و"الواحد عربى ". ينظر على الترتيب: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده١٢٧/٢ "ع ر ب" ، والمصباح المنير ٤٠١/٢ " ع ر ب " .

(٣) الكَوَادِنُ من الخيل جمع كَوْدَن ، و" الكَوْدَنُ : البِرْذَوْن الهَجِينُ " ، " وقيل : هو البغل " ، فـ" البِرْذَوْنُ يُطلق على غير العربى من الخيل والبغال من الفصيلة الخيلية ، و"يشبه به البليد " . ينظر على الترتيب : المحكم والمحيط الأعظم ٧٥٦/٦ " ك د ن " ، والمعجم الوسيط ٤٣/١ " ب ر ذ ن " – إبراهيم مصطفى الزيات وأحمد الزيات – تح/مجمع اللغة العربية ، ومختار الصحاح ص ٥٨٦ " ك د ن " .

(٤) مصنف ابن أبى شيبة ٤٠٢/١٢ – كتاب السير – باب في البراذين ما لها ، وكيف يقسم لها – تح/محمد عوامة – الدار السلفية الهندية القديمة ، وصحيح مسلم ١٦٨/١٣ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٣٢٨/٦ برقم ١٣٢٦٤، واللفظ لابن أبى شيبة .

(٥) تاج العروس ١٠٧/٣١ " هـ ب ل " ، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٢٢/٤ " هـ ب ل ".

(٦) جمهرة اللغة لابن دريد ٣٨١/١ " هـ ب ل " – تح/ رمزي منير بعلبكي – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، ط الأولى ١٩٨٧م .

عمر – ﷺ – إنما أراد من هذا التركيب الدعاءَ على ابن أبى خميصة الوادعى بالفقدان والهلكة .

ومن نظر إلى النص ملياً تفطن إلى أن السياق يرفض هذا المعنى ، وينصرف بالمصطلح إلى دلالة أخرى ، وهى مدحُ الفاروق – ﷺ – هذا الفارسَ الوادعىَّ ، وتقريظُه ؛ إذ إنه اجتهد فأصاب . (١)

وذلك أن الوادعى – ﷺ – كان أميراً على خيل أغارت في معركة بالشام على الروم ، فأدركَتِ الخيلُ العربيةُ الخالصة العدوَّ من اليوم الأول ، أما الأفراسُ الهجينةُ فقد أبطأت ووصلتْ في ضحى اليوم الثاني ؛ لثقلها ووفرة لحمها ؛ ومن هنا ضرب ابنُ أبى خَمِيصةِ الوادعى سهمين للفرس العربى وسهماً واحداً للبِرْذَونِ الهجين ؛ لضعفه وتأخره في الإغارة على الروم ، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – ﷺ – مستفتياً إياه في ذلك ، فقال الفاروق – ﷺ – : " هَبِلَتِ الوادِعِىَّ أُمُّهُ " مُقِرَّاً ما فعل مادحاً مستحسناً تَصَرُّفَهُ مقرظاً حسن اجتهاده .

وعلى هذا التوجيه السياقي يكون معنى هذا التعبير الاصطلاحي في تضاعيف الحديث : " ما أَعْلَمه ، أو ما أَصْوَبَ رأيَه " (٢)

وحجة السياق في اصطفائه هذا المعنى تتجلى في ثلاث قرائن لغوية :

القرينة الأولى: قولُ الفاروق – ﷺ – في حديث الباب – حين بلغه ما فعله ابن أبى خميصة: "لقد أَذْكَرَتْ به" أى: "جاءت به ذكراً شهماً داهياً"(٣) والعرب حين تمدح الرجل تقول:" أَذْكَرَتِ المرأةُ، إذا جاءت بولد ذَكَر، فهى مُذْكِر"(٤) .

---

(١) بنظر : غريب الحديث للخطابى ٩٧/٢ ، والنهاية لابن الأثير ٢٤٠/٥ – تح: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – الناشر: المكتبة العلمية – بيروت١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) معالم السنن للخطابى ٢٩٣/٣ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٤٠/٥ .

(٣) الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ٤١٧/٢ – تح/ علي محمد البجاوي – ومحمد أبوالفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان – طبعة الثانية ، وينظر : غريب الحديث للخطابى ٩٧/٢ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٤٠/٥ .

(٤) غريب الحديث للخطابى ٩٧/٢ .

فهذه قرينة صرحت بإعجاب سيدنا عمر – ﷺ – بما فعله الوادعىُّ ؛ حمله هذا الرضوان على الثناء عليه في ثوب هذه العبارة: "هَبِلَتِ الوادِعِىَّ أُمُّهُ".

القرينة الثانية : وذلك أن الفاروق – ﷺ – لما بلغه أَمْرُ الوادعى قال: "أمضُوها على ما قال " . أى : أمضوا القضية على ما قضى به ابن أبى خَمِيصَةَ الوادعى ، فَجَرَتْ سُنَّةً للخيل بعد ذلك . فقوله – ﷺ – : " أمضوها ... " أمرٌ صريح بإنفاذ ما ارتآه الوادعىُّ، مما يدل على أن المدح والثناء أشبهُ المعانى بالسياق .

القرينة الثالثة : أن سيدنا عمر – ﷺ – حين بلغه ما فعله الوادعى – ﷺ – كتب إليه : " أنْ نِعْمَ ما صَنَعْتَ " (١)

وبعد ، فتلك قرائن لغوية يعضد بعضُها بعضاً للدلالة على أن قول الفاروق –ﷺ–: " هَبِلَتِ الوادِعِىَّ أُمُّهُ " لم يُرَدْ به سوى مدحِ الوادعى وتقريظِه .

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٣٢٦/٢ – تح :د/. عبد الله الجبوري – الناشر: مطبعة العاني – بغداد – ط الأولى ١٣٩٧م .

أَرِبَ ...

النص :

عن أبى أيوب – ﷺ – أن رجلاً قال للنبـــي – ﷺ – : " أَخْبِرْنِـــي بعمـــل يدخلُني الجنةَ . قال: مَا لَهُ ، مَا لَهُ ؟ وقال النبىُّ – ﷺ – : أَرِبَ ، ما لَهُ ؟ تعبـــدُ اللهَ ، ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحمَ " (١)

المعنى اللغوى :

قوله – ﷺ – : " أَرِبَ... " جملة دعائية ، والفعل " أَرِبَ " يقع – عند أهل اللغة – على معان ، منها :

يقال : " أَرَّبَ العُضْوَ : قَطَّعَهُ " (٢) . ويقال : " قَطَّعْتُ اللحمَ آراباً ، والواحد إِرْبٌ ، أى : قِطَعاً . ويقال في الدعاء : أَرِبَتْ يدُه ، أى : قُطِعَتْ يدُه . وأَرِبْتَ مـــن يديكَ ، أى : سَقَطَتْ آرابُك " (٣)

ويقال فيه –أيضاً– : أَرِبَ الرجلُ ، إذا احتاج إلى الشيء وطَلَبَه ، يَـــأْرَبُ أَرَبَاً " (٤) و"يقال : ما إِرْبُك إلى هذا الأمر ؟ أى : ما حاجتك إليه " (٥) . وعلى هذا المعنى ورد قول العرب – في الدعاء – :" أَرِبْتَ في ذي يديك ، معناه : ذهب مـــا في يديك حتى تحتاج " (٦)

ومن معانى " أَرِبَ " قولهم : " أَرِبَ في ذلك الأمر، أي : بلغ فيه جهـــده وطاقته وفطن له ... عن الأصمعي : أَرِبْتُ بالشيء : صرت فيه ماهراً بصـــيراً . ومنه : الرجل الأَرِيبُ ، أي : ذو دَهْيٍ وبَصَرٍ " (٧)

---

(١) صحيح البخارى ٥٠٥/٢ برقم ١٣٣٢ – تح/مصطفى ديب البغا – كتاب الزكـــاة – بـــاب وجوب الزكاة – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت .
(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٢٨٩/١٠ " أ ر ب " .
(٣) العين للخليل بن أحمد ٢٨٩/٣ " أ ر ب " .
(٤) تهذيب اللغة للأزهرى ١٨٥/١٥ " أ ر ب " ، ولسان العرب ٢٠٨/١ " أ ر ب " .
(٥) العين للخليل بن أحمد ٢٨٩/٣ " أ ر ب " .
(٦) اللسان ٢٠٨/١ " أ ر ب " .
(٧) تهذيب اللغة ١٨٤/١٥ " أ ر ب " ، وينظر : اللسان ٢٠٨/١ " أ ر ب " .

التحليل السياقى :

قول النبي – ﷺ –: "أَرِبَ..." جملة دعائية، ظاهر معناها: "سَقَطَتْ أعضاؤه وأصيبتْ " [١]

هذا على المعنى اللغوي الأول للفعل " أَرِبَ " ، أما على المعنى الثاني فيكون ظاهر الدلالة : احتاج ، وافتقر . دعاء على السائل بالافتقار . [٢]

وإذا أنعم القارئ النظرَ في هذا النص الشريف بان له أن السياقَ قد عزف عن هذين المعنيين؛ لأن هذا التعبير اللغوي – وإن كان ظاهره الدعاء على المخاطب – من الكلام الذي يجرى على ألسنة العرب؛لتدعم به كلامها،ولا يريدون وقوع الأمر به[٣] كقولهم : تَرِبَتْ يداك ، وثَكِلَتْكَ أمُّك ، وعَقْرَى حَلْقَى ...[٤]

وإنما استدعى السياق معنى آخر وهو الإفصاح عن استحسان ما فعله الرجل من السؤال ، وقصد مدحه والثناء عليه [٥] ؛ لحرصه على الاستفهام عن السبل الموصلة إلى دخول الجنة .

ثَمَّ معنى آخر يتسق ووجهة النص ، ويواطئ بغية السياق وهو الدلالة على التعجب من حرص السائل ومزاحمته [٦] " كأنه – ﷺ – تعجب من حسن فطنته والاهتداء إلى موضع حاجته " [٧]

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٤٥٧/١ ، وينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٦/١ ، ومطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٢٣٥/١ .

(٢) ينظر : الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣٤/١ .

(٣) ينظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٤٥٧/١ ، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٦/١ ، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى ٣٦٨/١ – تح/علي حسين البواب – دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، وعمدة القاري شرح صحيح البخارى لبدر الدين العيني ٢٣٩/٨ – دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٤) ينظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى ٣٦٨/١ .

(٥) ينظر: تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم لابن يصل الأزدى ٣٢/١ –تح/زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز – مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ط الأولى١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٥/١ بتصرف ، وينظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٢٣٥/١ .

(٧) ذخيرة العقبى فى شرح المجتبى لمحمد بن على الولوى ٢٣٨/٦ ، ٢٣٩ – دار المعراج الدولية للنشر – ط الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، وكوثر الدرارى في كشف خبايا صحيح البخارى لمحمد الحفنى الشنقيطى ٢٠٨/١٢ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

والحجة التي عليها ارتكز السياق في إيثاره هـذين المعنيـين (المـدح والتعجب) تبرز من قرينتين :

القرينة الأولى : لغوية ، حيث ورد أن أعرابياً عرض لرسـول الله – ﷺ – وهـو فـي سفر، فأخذ بخِطَام ناقته – أو بزمامها – ثم قال : " يا رسـول الله – أو يـا محمـد – أخبرني بما يقربني من الجنة ، وما يباعدني من النار . قال : فَكَفَّ النَّبِـيُّ – ﷺ – ثُـمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وُفِّقَ – أَوْ لَقَدْ هُدِيَ– قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَـادَ، فَقَـالَ النَّبِيُّ –ﷺ –: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِـلُ الـرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ"(١)

فقوله – ﷺ – : " لقد وُفِّقَ – أو لقد هُدِى – " قَسَمٌ(٢) من النبي – ﷺ – علـى أن هذا السائل قد اهتدى ووُفِّق إلى الصواب بطرحه هذا السؤال . هذا القَسَمُ يرجح قصدَ مديحه – ﷺ – هذا الرجل ، وبيان تعجُّبِه من جودة عقله ، وحسـن فطنتـه ، وشـدة حرصه على دخول الجنة.

القرينة الثانية : حالية ، دل عليها قولُ سيدنا أيوب – ﷺ – يحكى حال الأعرابي السائل – : " فأخذ بخِطَام ناقته – أو بزمامها – " وما أخذ الأعرابى بزمام ناقة رسول الله – ﷺ – إلا ليتمكن من سؤاله بلا مشقة ، وليكترثَ له ؛ ومن هنا لما حصـل علـى الجـواب الشافى قال له النبى – ﷺ – : " دع الناقة " (٣).

كل هذا يشعر القارئ بشدة حرص الأعرابى وحسن فطنته وكياسته ؛ مما يرجح حمل هذا المصطلح على إفادة المدح والتعجب مـن حرصـه ، ويسـتبعد إرادة المعنـى اللغوى من الدعاء عليه بسقوط أعضائه ، أو الافتقار والحاجة .

القرينة الثالثة : لغوية ، وذلك أن الإمام النووى – رحمه الله – روى أن النبـى – ﷺ – قال – بعد ما ولَّى الأعرابى – : "مَنْ سَرَّهُ أن ينظرَ إلى رجل من أهل الجنة، فلينظرْ إلى هذا"(١) ومن ثم بات الأعرابى جديراً بأن يستثير إعجابَ رسولِ الله – ﷺ – حتى مدحـه في زى هذا التعبير اللغوى " أَرِبَ ... " .

---

(١) صحيح مسلم ٤٢/١ برقم ١٣ – كتاب الإيمان – باب الإيمان الذي يدخل به الجنـة ، وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة .

(٢) القسم محذوف تقديره : والله ، واللام جوابه .

(٣) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٧٤/١ .

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ١٧٤/١ .

المبحث الثالث : الإنكار والتوبيخ

تمهيد :

الإنكار – عند أهل اللغة – خِلاف الاعتراف .[١] مأخوذ من قولهم : نَكِـرَ الشَّيءَ وأنكَره : لم يَقْبَلْه قلبُه ، ولم يعترفْ به لسانُه .[٢]

والتوبيخ – في اللغة – الملامة.[٣] ومنه يقال: " وَبَّخَه بسُوءٍ توبِيخاً ، إذا لاَمَهُ وعَذَلَهُ .[٤]

وقد جمعتُ في هذا المبحث ما رصدته عيناى من التعبيرات الاصطلاحية التي وردت فى متون السنة ، وقد آثر السياق لها أن تكون للإنكار والتوبيخ ، وعالجتها على النحو الآتي :

أوَ هَبِلْتِ ؟

النص :

عن حُمَيْدٍ قال : " سمعت أنساً – ﷺ – يقول : أُصِيبَ الحارثةُ يومَ بدرٍ وهو غلامٌ ، فجاءت أُمُّهُ إلى النبيِّ – ﷺ – فقالتْ : قد عَرَفْتَ منزلةَ حارثةَ مِنِّى ، فإن يكنْ في الجنةِ أَصْبِرْ وأحتسبْ ، وإن تكن الأخرى تَرَ ما أَصْنَعُ . فقال : وَيْحَكِ ، أوَ هَبِلْتِ ؟ أوَ جنةٌ واحدة هي ؟ إنها جِنَانٌ كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس "[٥]

المَعنى اللغوى :

شاهد هذا النص قوله – ﷺ – : " أوَ هَبِلْتِ ؟ " مأخوذ من الهَبَل . والهَبَلُ – في اللغة – : الثُّكْل .[٦] يقال : " هَبِلَتْهُ أمُّه : ثَكِلَتْهُ "[٧] " والإهبال : الإثكال .

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٤٧٦/٥ " ن ك ر " .
(٢) المرجع السابق ٤٧٦/٥ " ن ك ر " بتصرف .
(٣) ينظر : العين للخليل بن أحمد ٣١٥/٤ " و ب خ " .
(٤) تاج العروس ٣٦٣/٧ " و ب خ " .
(٥) صحيح البخارى ١٤٦٢/٤ برقم ٣٧٦١ – كتاب المغازى – باب – فضل من شهد بدراً .
(٦) ينظر : جمهرة اللغة لابن دريد ١٨٠/١ " هـ ب ل " ، واللسان ٦٨٥/١١ " هـ ب ل " .
(٧) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٢٢/٤ " هـ ب ل " ، واللسان لابن منظور ٦٨٥/١١ " هـ ب ل " .

والهَبُول من النساء : الثَّكُول ... وفى الدعاء : هُبِلْتَ . ولا يقال : هَبِلْتَ ... قال ثعلب: القياس: هُبِلْتَ؛ لأنه إنما يدعو عليه بأن تَهْبَلَه أمُّه، أى: تَثْكَلُه"(١)

التحليل السياقى :

هنا تقضى النظرة الخاطفة بأن المراد من قوله – ﷺ – : " أوَ هَبِلْتِ " الدعاءُ على أم حارثة بفقدانها ولدَها ، وعليه يكون ظاهر المعنى : " أَثَكِلْتِ ابْنَكِ ، وفَقَدتِّه " (٢)

وبالنظر إلى النص – على تَرَوٍّ – يستبين أن السياق قد عزف عن هذا المعنى اللغوى ، وابتغى معنى غيره ، وهو إنكارُ النبىِّ – ﷺ – على أُمِّ حارثةَ أن تَشُكَّ في دخول ابنِها الشهيدِ الجنةَ ، حيث قالت : " فإن يكنْ في الجنةِ أَصْبِرْ وأحتسبْ ، وإن تكن الأخرى تَرَ ما أَصْنَعُ " .

وعلى هذا التأويل السياقى يكون معنى هذا المصطلح " أوَ هَبِلْتِ ؟ " في إطار الحديث : " أَفَقَدتِّ عقلَكِ حتى حصل لكِ الشكُّ في دخول ولدِك الجنةَ ، فجئتِ تسألين عن ذلك ؟ بل الذي ينبغي لكِ أن تسألي عن شأنه : أىُّ الجِنان هو ؟ لأنها جنان ، وجوابُكِ : أنه من أهل الفردوس " (٣)

وإما أن يكون النبى – ﷺ – قد أنكر على أم حارثة – رضى الله عنها – صفة الجنة التي سيؤول إليها ابنُها ؛ ومن ثَمَّ يكون معنى قوله – ﷺ – : " أوَ هَبِلْتِ ؟ " في تضاعيفِ الحديث : " أفقدتِّ ميزَكِ وعقلَكِ ؛ مما أَصابك من الثُّكل بابنك ، حتى جهلتِ صفة الجنة ، وثكلتِ ذلك مع من ثكلتِه ؟ " (٤)

وينصر السياق في ترشيحه معنى الإنكار وردِّ المعنى اللغوى لهذا المصطلح قرينتان لغويتان :

---

(١) اللسان ٦٨٥/١١ " هـ ب ل " .
(٢) الفجر الساطع على الصحيح الجامع لمحمد الفضيل بن محمد الفاطمي الشبيهي ٢٠/٣ .
(٣) الفجر الساطع على الصحيح الجامع للفاطمى الشبيهى ٢٠/٣ .
(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضى عياض ٢٦٤/٢ ، وينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٣٠٥/٧ .

القرينة الأولى : تتمثل في قول النبي – ﷺ – لأم حارثة : " ويحَكِ " ، وذلك أن أُمَّ حارثة لمَّا قالت – متذبذبة – : " فإن يكنْ في الجنةِ أَصْبِرْ وأحتسبْ ، وإن تكن الأخرى تَرَ ما أَصْنَعُ " قال لها رسول الله – ﷺ – مشفقاً عليها : " ويحَكِ " ، والويحُ –فى اللغة– "كلمة رحمة " [1] تقال ترحماً بالمخاطب وإشفاقاً عليه حين ينزل به مكروه . فترحُّمُه – ﷺ – بأُمِّ حارثةَ يأخذ بهذا التعبير الاصطلاحي نحو معنى الإنكار ، ويستبعد الدلالة اللغوية .

القرينة الثانية : حيث تعاقب استفهامان في حديث الباب :

أحدهما : متلبس بالجملة الدعائية – محل الشاهد – وهو قوله – ﷺ – " أوَ هَبِلْتِ؟ " الثاني : قوله – ﷺ – : " أو جنةٌ واحدة هى ؟ " ، حيث دل الاستفهام الأول على التوبيخ ، وأفاد الثاني معنى الإنكار . [2] فهذان الاستفهامان دلا معاً على أن السياق قد آثر دلالة المصطلح على التوبيخ والإنكار .

وهنا يمكن القول بأن المعنى اللغوى قد بات بعيداً ، وأن الدلالة المقصودة ههنا التوبيخ والإنكار .

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٨/٤ " و ي ح "، وتاج العروس للزبيدى ٢٢٠/٧ " و ي ح ".

(٢) ينظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضى عياض ٥٣/١ ، وعمدة القارى لبدر الدين العينى ٩٥/١٧ ، وعقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد للسيوطى عدد ٧٣ ، ٧٤ ص ٥٥ – تح/حسن موسى الشاعر – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تَرِبَتْ يمينُكِ

النص :

عن عُرْوَةَ بن الزبير أنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ بنتُ مِلْحَانَ قالت لرسولِ الله – ﷺ – : " المرأةُ تَرَى في المنامِ مِثْلَ ما يرى الرجلُ ، أتغتسلُ ؟ فقال لها رسولُ الله – ﷺ – : نَعَمْ ، فلْتغتسلْ . فقالت لها عائشة : أُفٍّ لكِ ، وهل ترى ذلك المرأةُ ؟ فقال لها رسولُ الله– ﷺ–: تَرِبَتْ يمينُكِ ، مِنْ أين يكون الشبه ؟ " (١)

المعنَى اللغوى :

الشاهد في هذا الحديث قولُ النبيِّ – ﷺ – : " تَرِبَتْ يمينُكِ " . يقول أهل اللغة: "وتَرِبَ الرجلُ : صار في يده الترابُ . وتَرِبَ تَرَباً : لَزِقَ بالتراب . وقيل : لَصِقَ بالتراب من الفقر . وتَرِبَ تَرَباً ومَتْرَبَةً : خَسِرَ وافتقرَ ؛ فلزق بالتراب " (٢)

المعنى السياقى :

قولُ النبيِّ – ﷺ – : " تَرِبَتْ يمينُكِ " إذا فُسِّرَ على معناه اللغوى صار جملة خبرية ظاهرها الدعاء ، بمعنى : لُصِقَتْ يمينكِ بالتراب ، وخَسِرْتِ ، وافتقرتِ .

وإذا تفحصت النص الشريف بان لك جلياً أن المعنى اللغوى لهذا التعبير لا يلائم وجهة الكلام ، ولا ينزل على مراده ، وأن المعنى المؤمَّ هنا قصدُ الإنكار على أُمِّ المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – لا الدعاء عليها بالفقر .(٣) **وإنما خاطبها بذلك النبىُّ – ﷺ – على عادة العرب في تخاطبها وهم يستعملون هذه اللفظة عند الإنكار على من لا يريدون فقره وإن كان معناها : افتقرتْ يداكِ .** (٤)

---

(١) صحيح مسلم ٤٧٠/١ – كتاب الطهارة – باب احتلام المرأة – دار الجيل – بيروت – دار الأوقاف الجديدة – بيروت .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٧٩/٩ "ت ر ب"، وينظر : اللسان ٢٢٧/١ "ت ر ب " ، وتاج العروس ٦٦/٢ " ت ر ب " .

(٣) ينظر : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ٥٥/١ .

(٤) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطي ٥٥/١ ، المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ١٠٥/١ – مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر – ط الأولى ١٣٣٢هـ ، بتصرف فيهما .

فرسولُ الله – ﷺ – لم يتعمَّد الدعاءَ عليها بقوله: " تَرِبَتْ يمينُكِ "[١] ، بل أراد إيجابَ اللائمةِ على أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – وذلك لتقصيرها في ما يجب عليها أن تفهمه .[٢]

وكأنه – ﷺ – أراد أن يقول لزوجته الكريمة – رضى الله عنها – : " أَضَعُفَ عقلُكِ ؟ أتجهلين هذا؟ "[٣] ، ثم تنكرين على أم سُلَيْمٍ سؤالَها ؟ بل " أنت أحقُّ أن يقال لكِ هذا ، فإنها فعلَتْ ما يجب عليها من السؤال عن دينها ، فَلَمْ تستحقَّ الإنكارَ ، واستحقَقْتِ أنتِ الإنكارَ ؛ لإنكاركِ ما لا إنكارَ فيه " [٤]

وإنما سوغ إعراضَ السياق عن المعنى اللغوي لـ" تَرِبَتْ يمينُكِ " وابتغاءَه معنى الإنكار والتثريب قرينتان لغويتان :

القرينة الأولى : وذلك أن السيدة عائشة – رضى الله عنها – بادرت بالإنكار على أم سُلَيْمٍ لما قالت بأن المرأة ترى في المنام مثل ما يرى الرجل ، أى : تحتلم ، فقالت السيدة عائشة : " أُفٍّ لكِ " ، وذلك أن أصل " الأُفِّ الوسخ الذي حول الظُّفر ، وقيل : وسخ الأذن ، ثم استُعمل ذلك عن كل شيء يُضجر منه " [٥] فالأُفُّ " صَوْتٌ إذا صوَّتَ به الإنسان عُلِمَ أنه متضجر متكرِّهٌ ، قد أَفَّفَ تأفيفاً "[٦]

ومن هنا أفادت هذه الكلمة إنكارَ السيدة عائشة – رضى الله عنها – على أم سُلَيْمٍ أن تُخْبِرَ بهذا [٧] ؛ ومن ثَمَّ أنكر رسولُ الله – ﷺ – على السيدة عائشة بقوله : "تَرِبَتْ يمينُكِ " .

---

(١) ينظر : تفسير غريب ما الصحيحين لابن فتوح الأزدى ٢٤٤/١ .

(٢) ينظر : تفسير غريب ما الصحيحين لابن فتوح الأزدى ٢٤٤/١ ، وحاشية السندى على سنن النسائي لنور الدين عبد الهادى السندي ١١٤/١ – تح/عبدالفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية حلب – ط الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣) شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك ٢١٢/١ .

(٤) شرح النووى صحيح مسلم ٢٢١/٣ ، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفورى ١٣٠/٢ .

(٥) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده٥٤٠/١ "أ ف ف"، وينظر:اللسان ٦/٩ " أف ف".

(٦) تاج العروس ٢١/٢٣ " أ ف ف " .

(٧) ينظر : حاشية السندى على سنن النسائي ١١٣/١ .

وعلة إنكار السيدة عائشة هذا صِغَرُ سِنِّها ، وكونُها مع زوجها ، فلذلك لم تعرف الاحتلام ؛ لأن الاحتلام لا تعرفه النساء ولا أكثر الرجال إلا عند عدم الجماع بعد المعرفة به ، فإذا فقد النساءُ أزواجَهن ربما احتلمن .[١]

القرينة الثانية : كانت عادة العرب – ومنهم الصحابة وزوجات النبي – ﷺ – أن يدعموا كلامهم بهذا التعبير الاصطلاحي " تَرِبَتْ يمينُكِ " ، ثم إن استشعر أحدُهم تَسَرُّبَ المعنى اللغوى إلى ذهن المخاطب ، أردفه بقرينة تَصْرِفُ عنه الدلالةَ اللغوية ، وقد وقع ذلك من السيدة عائشة – رضى الله عنها – في غير هذه الرواية ، حيث قالت : " تَرِبَتْ يمينُكِ ، خَيْرٌ " فقد روى بالوجهين " خَيْرٌ " ، و"خَبَرٌ " . فقولها : " خَيْرٌ " هو ضد الشر، معناه : لم تُرِدْ بهذا شتماً ، ولكنها – كما أسلفتُ – كلمةٌ تجرى على الألسنة ، ولا يراد بها وقوعُ الأمر . وعلى الثاني " خَبَرٌ " يكون المعنى : أن هذا ليس بدعاء ، بل هو خبر لا يراد به حقيقتُه .[٢] فجملة " تَرِبَتْ يمينُكِ " في الأصل خبرية ، ولكنها دعاء في الاستعمال . [٣]

فإذا حرصت السيدةُ عائشة – رضى الله عنها – حين تكلمت بهذه العبارة – على نفى المعنى اللغوي بالاحتراس بقولها :" خَيْرٌ " أو " خَبَرٌ " خشية أن يظنه المخاطب أنه على معناه اللغوي ، فالأحرى والأولى بذلك رسولُ الله – ﷺ – لكنه في غَناء عن الاحتراس ؛ إذ إنه المعصوم من الزلل في القول والفعل ، ولا يُتخيل أن يدعو على إحدى أزواجه – ﷺ – وأحبِّ نسائه إليه بالافتقار والخسار ؛ لمجرد أنها لم تفطن كلامَ أم سُلَيْمٍ ، فلا يتأتَّى ذلك منه وقد أرسله الله – ﷻ – رحمة للعالمين .

وبعد، فذانك برهانان جليان يجنحان بالسياق إلى قصد الإنكار واللوم في قوله – ﷺ – : " تَرِبَتْ يمينُكِ " ، وينفيان إرادة المعنى الحقيقي .

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٣٣٨/٨ ، ٣٣٩ – تح/ مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري – الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ، بتصرف.

(٢) ينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٢٢١/٣ .

(٣) ينظر : عمدة القاري لبدر الدين العينى ٢١٢/٢ .

هذا ، وقد أفرز هذا التأويل السياقى فائدتين :

الأولى : الحض على تعلم النساء مثل هذه الأمور ، حتى يعرفن ما يلزمهن من الأحكام الشرعية ، كالاغتسال وغيره . [١]

الثانية : جواز الإنكار والدعاء بما ظاهره السوء على المعترض فيما لا علم له به شريطة أن تجرى العادة عند الناس باستعمال هذه الأدعية في غير مقاصدها اللغوية، وأن تكون من ورائها معان مستحسنة، كالإعجاب والمدح والتقريظ[٢]...

(١) ينظر : تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطى ٥٥/١ .

(٢) ينظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٣٣٩/٨ .

سبحان الله

النص :

عن عائشة أن امرأة سألت النبيَّ – ﷺ – عن غُسْلِها من المحيض ، فأَمَرَهَا كيف تغتسل ، قال : خذي فِرْصَةً[١] من مَسْكٍ[٢] ، فتطهَّري بها . قالت : كيف أتطهر ؟ قال : تطهري بها . قالت : كيف ؟ قال : سبحانَ الله ، تطهري . فاجْتَبَذْتُهَا إليَّ ، فقلتُ: تَتَبَّعِي بها أَثَرَ الدَّمِ " [٣]

المعنى اللغوى :

قولُ النبيِّ – ﷺ – : " سبحان الله " هو موضع الشاهد هنا . هذا التركيب عَلَمٌ على التسبيح ، منصوب على المصدر [٤]، ومعناه عند أهل اللغة " تنزيهُ الله عن كل ما لا ينبغي أن يُوصفَ به " [٥] . ومنه يقال : " سبَّحْتُ اللهَ تسبيحاً وسبحاناً بمعنى واحد . فالمصدر تسبيح، والاسم سبحان يقوم مقام المصدر"[٦].

التحليل السياقى :

إذا دل قولك : " سبحان الله " – عند اللغويين – على تنزيه الله – ﷻ – عن كل ما لا يليق به ، فهل هذا هو المراد هنا ؟

حين يتأمل القارئ هذا التعبير يتبدى له أن المعنى اللغوى ليس مَحَطَّ النظر ، وأن السياق قد اصطفى دلالة أخرى وهى إفادة الإنكار[٧] أى : إنكار رسول الله – ﷺ –

---

(١) الفِرْصَة : القطعةُ من الصوف أو القطن . وقيل : هى قطعة قطن أو خِرْقَة تَتَمسَّح بها المرأة من الحيض. اللسان٧/٦٤ " ف ر ص"، وينظر: تاج العروس ١٨/٦٨ "ف ر ص".

(٢) المَسْك : الجِلْد . اللسان ١٠/٤٨٦ " م س ك " ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي الفيومى ٢/٥٧٣ " م س ك " – المكتبة العلمية – بيروت . روى بالكسر – أيضاً – " من مِسْكٍ – وذلك فى: السنن الكبرى للنسائي ١/١٦٩ برقم ٢٤٤ ، تح/حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١ م .

(٣) صحيح البخارى ١/١١٩ برقم ٣٠٨ – كتاب الحيض – باب : دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض ، وكيف تغتسل وتأخذ فِرْصِة ممسَّكة فتتتبع بها أثر الدم .

(٤) ينظر : المصباح المنير للفيومى ١/٢٦٣ " س ب ح " .

(٥) العين للخليل بن أحمد ٣/١٥١ " س ب ح " ، وتهذيب اللغة للأزهري ٤/١٩٦ " س ب ح " ، ولسان العرب ٢/٤٨٠ " س ب ح " .

(٦) تهذيب اللغة للأزهرى ٤/١٩٦ " س ب ح " .

(٧) ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض ٢/١٧٣ – تح:د/ يحيى إسماعيل – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – ط الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

على هذه المرأة أن يخفى عليها أمرٌ ظاهر لا يحتاج في فهمه إلى تفكر لا سيما أنه من خصائص النساء ، تعرفه الفِطَرُ السليمةُ ، وهو كيفية التطهر من دم الحيض وإزالة أثره بقطعة صوف أو قطن ملطخة بالمِسْك ، وذلك بعد إعادة النبي – ﷺ – الأمر بالتطهر مرتين ، والمرأة – ساعتئذ – لم تفطن مرادَه ، وجعلت تقول : كيف أتطهر؟ ، كيف؟ .

وهنا حمله حياؤه – ﷺ – وذوقه الرفيع على الامتناع عن التصريح بألفاظ العورات ولجأ إلى الإنكار عليها بقوله : " سبحان الله " عَلَّها أن تتفطن إلى ما يُلْمِحُ إليه– ﷺ – لكنه إنكار خفى مستتر خلف هذا التعبير الاصطلاحي – الدال في أصله على تنزيه الله – ﷻ – المكنى به ههنا عن أمر مستور .

ثَمَّ معنى آخر يستملحه السياق ، وهو الدلالة على التعجب من عدم فهمها المقصود [١] " وأن هذا مما لا يخفى عن أحد حتى تُكرِّرَ السؤال عنه " [٢]

وعلى هذا التوجيه يكون معنى التعجب في سياق الحديث " كيف يخفى مثل هذا الظاهر الذي لا يحتاج الإنسان في فهمه إلى فكر " [٣]

ولا ضير هنا من المزج بين هاتين الدلالتين ؛ إذ إن رسول الله – ﷺ – ما حمله على الإنكار على هذه المرأة إلا تعجبه من تكرار سؤالها عن التطهر من دم الحيض مرتين ، وإنما كان مبررَ هذين المعنيين معاً حياؤُه – ﷺ – وسمتُه العالي ، ودأبُه عن الترفع عن التكلم بألفاظ العورات ، وعادتُه فى التكنية في هذه المقامات .

وقد تخيَّر السياقُ هاتين الدلالتين ؛ لقرينتين حاليتين :

القرينة الأولى : ما روى عن السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت : " سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ – ﷺ – كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا ؟ قَالَ : فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ

---

(١) ينظر : حاشية السندى على سنن ابن ماجه ٢٢٠/١ ، ومرعاة المفاتيح للمباركفورى ١٣٥/٢ .

(٢) الشافي فى شرح مسند الشافعي لابن الأثير ٣٣٠/١ – تح/أحمد بن سليمان ، وأبى تميم ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية – ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ١٤/٤ ، الكاشف عن حقائق السنن للحسين بن عبد الله الطيبى ٨١١/٣ – تح:د/عبد الحميد هنداوي – مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – الرياض – ط الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م .

تَغْتَسِلُ ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا . قَالَتْ : كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا ؟ قَالَ : تَطَهَّرِي بِهَا سُبْحَانَ اللهِ ، وَاسْتَتَرَ – وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ – قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ ، وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ – ﷺ – فَقُلْتُ : تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ " (١)

فقولها – رضى الله عنها – : " واستتر " – أى : أخفى – ﷺ – وجهه بوضع يده عليه – دليل على استحيائه – ﷺ – من مواجهة المرأة بالتصريح بالكلام عن محل الحيض (الفرج) فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال ، حينئذ فهمت السيدةُ عائشة – رضى الله عنها – ذلك ، فتولَّتْ تعليمَها(٢) فقالت : " تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ . تعنى : الفرج " (٣) تريد أن تعصر بقطعة القطن المُمَسَّكة الأماكنَ التي نالها الدم متنضحة بها ، وتوصله إليها ؛ لتنزيله منها . (٤)

القرينة الثانية : تتجلى في ما ورد في سنن ابن ماجه – في السياق ذاته – أن النبى – ﷺ – لمَّا قال للسائلة : " سبحان الله تطهري ، قالت عائشة – وكأنها تخفي ذلك – : تتبعي بها أثر الدم " (٥)

والمعنى أنها – رضى الله عنها – "قالت لها كلاماً خفياً تسمعه المخاطَبة، لا يسمعه الحاضرون " (٦) مما يدلك على أن النساء يستحيين من الجهر بهذا الكلام في حضرة الرجال ، فما بالك برسول الله – ﷺ – ؟ يشهد لهذا قول السيدة عائشة – بعدما قرأت في وجه النبى – ﷺ – حياءَه من التصريح بالجواب – : "

---

(١) صحيح مسلم ٢٦٠/١ برقم ٣٣٢ .
(٢) ينظر : مرعاة المفاتيح للمباركفورى ١٣٥/٢ .
(٣) شرح السنة للإمام البغوى ١٩/٢ – تح/شعيب الأرناؤوط ، ومحمد زهير الشاويش – المكتب الإسلامى – دمشق – بيروت – ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٤) الشافي فى شرح مسند الإمام الشافعي لابن الأثير ٣٣٠/١ بتصرف .
(٥) سنن ابن ماجه ٢١٠/١ برقم ٦٤٢ – كتاب الطهارة وسننها – باب فى الحائض : كيف تغتسل.
(٦) شرح النووى على صحيح مسلم ١٥/٤ ، ١٦ ، والديباج على صحيح مسلم للسيوطى ٨٦/٢ – تح/أبي إسحاق الحوينى – دار ابن عفان للنشر – السعودية – الخبر – ط الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، وحاشية السندى على سنن ابن ماجه ٢٢١/١ .

فاجْتَبَذْتُهَا إلىَّ " أى : شددتها بقوة نحوى ؛ لتنتحى بها جانباً ؛ لِتُعَلِّمَها – بصوت خفيض – ما أراده رسولُ الله – ﷺ – .

فاستتار النبيِّ – ﷺ – عن هذه المرأة ، وصرفُ وجهه عنها ، ثم محاورةُ السيدة عائشة لها بصوت خفي ، واجتذابها إياها بعيداً ، كل ذلك قرائن حالية تحسن حمل المصطلح " سبحان الله " على معنى الإنكار والتعجب من تكرار المرأة السؤال ، وعدم فهمها المراد .

هذا ، وقد تمخض عن هاتين الدلالتين (الإنكار والتعجب) فائدتان :

الأولى : " جواز التسبيح عند إنكار الشيء واستعظامه والتعجبِ منه " [١].

الثانية : يحسن من المسلم استعمال التعبيرات الدالة على الحياء عند ذكر ألفاظ العورات لا سيما فيما يذكره من ذلك الرجالُ بحضرة النساء ، والنساءُ بحضرة الرجال ، فقد فعله رسولُ الله – ﷺ – فقال : " سبحان الله " . ويجب اقتداء أهل الفضل والسمت به – ﷺ – عند دفع الضرورات لذكر شيء من العورات أو الألفاظ المستقبحة بالتعريض بها، وتجنب ذكرها، والانقباض والاستحياء عند ذكرها، وترك التصريح بها.[٢]

تنويه : لا يمتنع ههنا دلالة " سبحان الله " على معناه اللغوي – من إرادة تنزيه الله – عز وجل – عما لا ينبغي أن يوصف به ، بجانب قصد الإنكار والتعجب، لكن الدلالة اللغوية ليست مقصدَ السياق الأولَ، ولا موضع النظر منه؛ إذ المقام أولاً مقام إنكار وتعجب .

وهنا يستقيم القول بأن النبى – ﷺ – من خلال هذا المصطلح " سبحان الله " – قد أنكر وتعجب في زى كلام يحمل معنى تنزيه الله عن كل نقص . وهذا دأبه – ﷺ – حيث كان يذكر الله – ﷻ – على كل أحيانه .

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض ١٧٣/٢ .

(٢) ينظر : المرجع السابق الموضع نفسه .

المبحث الرابع : التنبيه من الغفلة ونسبة الخطأ

تمهيد :

ينبغي قبل الشروع في هذا المبحث الوقوفُ على مفردات عنوانه ؛ كي يتبين المراد منه .

فالتنبيه – في اللغة –: الإيقاظ من النوم ، أو من الغفلة ، يقال – في الأول – : قد نَبَّهَهُ وأَنْبَهَهُ من النوم ، فتَنَبَّه وانْتَبَه . وانْتَبَهَ من نومه استَيقَظ ، والتنبيه مثله .(١) ويقال في الثاني : نَبَّهَهُ من الغفلة ؛ فانْتَبَه وتَنَبَّهَ : أَيقظه. وتَنَبَّه على الأَمر شَعَرَ به .(٢)

أما الخطأ فمعناه – في اللغة – : ضد الصواب .(٣)

وقد وردت في حنايا السنة النبوية تعبيرات اصطلاحية حملت هذا المعنى ، كان الغرض السياقى منها تنبيه المخاطب الغافل الذاهل عن أمر ما أو الناسي ، ثم نسبة الخطأ إليه ليجتنبه . هذه التعبيرات تناولها البحث على النحو الآتي :

ثَكِلَتْكَ أُمُّك

النص :

عنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ : " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ – ﷺ – فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيباً مِنْهُ ، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ . قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ البَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ . قَالَ : ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ ﴾ (٤) ، حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ، ثُمَّ

---

(١) لسان العرب ٥٤٦/١٣ "ن ب هـ" بتصرف، وينظر: تاج العروس ٥١٧/٣٦ "ن ب هـ".
(٢) لسان العرب ٥٤٦/١٣ " ن ب هـ " بتصرف .
(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم ٢٣٠/٥ " خ ط أ "، ومختار الصحاح لأبى بكر الرازى ص١٩٦ "خ ط أ".
(٤) السجدة : من الآية ١٦ .

قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ " (١)

المعنى اللغوى :

الشاهد في هذا النص قولُ النبي – ﷺ – : " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ " . يدل الفعل "ثَكِلَ" عند أهل اللغة على فقدان الولد ، قال أهل اللغة : " الثُّكْلُ : فقدان الحبيب . وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة ولدها . يقال : ثَكِلَتْهُ أمُّه ، فهى به ثَكْلَى " (٢)

التحليل السياقى :

قوله – ﷺ – لسيدنا معاذ بن جبل – ﷺ – : " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ " ظاهره الدعاء عليه بالموت والهلكة ، والمعنى على هذا : فقدتْكَ أمُّك .

أما من تبصر هذا النص الشريف تبين له أن هذا التعبير الاصطلاحي ليس على معناه اللغوى ، ولا يراد به وقوعه ،(٣) واستيقن أنه مزال عنه .(٤)

ومن ثم خرَّجه العلماء على أنه من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب، ولا يراد بها الدعاء ، كقولهم : تَربَتْ يداك ، وقاتلك الله .(٥)

---

(١) سنن الترمذي ٥/١١ ، ١٢ برقم ٢٦١٦ – كتاب الإيمان – باب ما جاء فى حرمة الصلاة – تح/أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي – مطبعة الحلبى – مصر – ط الثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدى ٣٤٩/٥ ، ٣٥٠ " ث ك ل " ، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٧٩٥/٦ " ث ك ل " .

(٣) ينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٩٥/١ ، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لأبى العلا المباركفورى ٣٠٥/٧ – دار الكتب العلمية – بيروت .

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي البيضاوي ٦٩/١ – تح/ لجنة مختصة بإشراف : نور الدين طالب – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م .

(٥) ينظر :النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٦٢٨/١،ولسان العرب ٨٨/١١"ث ك ل".

ولذا أعرض السياق عن معناه اللغوي مستحسناً معنى آخر وهو قصد التنبيه من الغفلة ، وتأديب لطيف لسيدنا معاذ – ﷺ – [١] ؛ إذ إنه خَفِيَ عليه أمر جليٌّ كهذا حتى استفهم عنه ، كيف لا يتفطن إلى أن الله – ﷻ – سوف يحاسب الناس على ما يتكلمون به؟

ولهذا استملح السياق حَمْلَ هذا التعبير " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ " على إرادة تنبيه سيدنا معاذ – ﷺ – وإيقاظه من غفلته .

يعضد هذا أن شراح السنة تأولوا الاستفهام في قول النبي – ﷺ – : " وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ " على معنى النفي. [٢] أى : لا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا ما تحصده ألسنتهم من الأقوال . [٣]

وقد انتخب السياقُ معنى التنبيه دون سواه متكئاً على ثلاث قرائن :

القرينة الأولى : لغوية ، وتتمثل في قول سيدنا معاذ – ﷺ – في صدر حديث الباب: " يا رسولَ الله ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ " . فقوله : "أخبرني" دلَّ على حرصه – ﷺ – على الخير ومعرفة الأعمال التي بها حصول الجنة والسلامة من النار . [٤]

ولم يزل الصحابى الجليل يسترسل في السؤال حتى قال : " وإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ " فهذا كله يشهد لشدة حرصه على تعلُّمِهِ أمْرَ دينه واجتناب المهلكات المفضية إلى عذاب الله – ﷻ – ورسولُ الله – ﷺ – قد حض على التفقه في الدين في مواضع كثيرة ، منها قوله – ﷺ – : " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً

---

(١) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا على القاري ١٠٦/١ ، و تحفة الأحوذي للمباركفورى ٣٠٥/٧ .

(٢) ينظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعبيد الله بن محمد المباركفوري ١٠١/١ ، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد السلام المباركفوري ٣٠٦/٧ ، والتحفة الربانية في شرح الأربعين النووية لإسماعيل بن محمد الأنصاري ٢/٣٠ الباحث في دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

(٣) ينظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري ١٠١/١ .

(٤) ينظر : فتح القوي المتين في شرح الأربعين لعبد المحسن بن حمد العباد البدر ١٠١/١ – دار ابن القيم – الدمام المملكة العربية السعودية – ط الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" [١] وما فعله سيدنا معاذ لم يخرج عن هذا المسلك ، ثم هل يَتصور عاقلٌ أن يدعو رسول الله – ﷺ – بالهلاك على صحابي جاء يسأله عما ينجيه من النار ويدخله الجنة؟ الإجابة:لا.

القرينة الثانية : حالية ، وذلك في ما وقع في رواية الطبراني أن معاذاً قال : "يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنُؤَاخَذُ بِكُلِّ مَا نَقُولُ وَيُكْتَبُ عَلَيْنَا؟ قَالَ : فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – مَنْكِبَ مُعَاذٍ مَرَّاتٍ ، وَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ مُعَاذ ... " [٢] فما ضرب النبيُّ – ﷺ – منكب سيدنا معاذ إلا ليشعره بأن الأمر جلل ، وليأخذ به إلى الفهم الصحيح ، ويوقفه على أهمية هذا العضو (اللسان) الذي يتردى به كثير من الناس في النار يوم القيامة. فالضرب على المنكب هنا – قرينة حالية – قصد به التنبيه من الغفلة.

القرينة الثالثة : حالية أيضاً ، تكمن في ما ورد عند الترمذي أن النبى – ﷺ – قال لسيدنا معاذ : " ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ كُلِّهِ وعمودِه وذروتِه وسَنَامِهِ ؟ قلت : بلى يا نبيَّ الله ، فأخذ بلسانه قال : كُفَّ عليك هذا "[٣] ففي هذه الرواية : أخذ رسول الله– ﷺ– بلسانه ، وأشار إليه من غير اكتفاء بالقول ؛ تنبيهاً على أن أمر اللسان صعب.[٤]

جميع هذه القرائن تجتمع على أمر واحد وهو الدلالة على أن هذا المصطلح اللغوى لم يُرَدْ به ههنا سوى التنبيه من الغفلة ، وإيقاظ الفكرة لِلَحْظ المعنى المؤمِّ .

---

(١) سنن ابن ماجه ٨٠/١ برقم ٢٢٠ – كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم – باب فى فضل العلماء والحث على طلب العلم – تح/محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢) المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد الطبراني ٦٤/٢٠ برقم ١١٦ – تح/حمدي بن عبد المجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

(٣) سنن الترمذي ١١/٥ برقم ٢٦١٦ – – كتاب الإيمان – باب ما جاء فى حرمة الصلاة .

(٤) تحفة الأحوذي ٣٠٥/٧ .

أَربْتَ عن يديك

النص :

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : " أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْمَرْأَةِ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ يَوْمَ النَّحْرِ ، ثُمَّ تَحِيضُ . قَالَ : لِيَكُنْ آخِرُ عَهْدِهَا بِالْبَيْتِ . قَالَ : فَقَالَ الْحَارِثُ : كَذَلِكَ أَفْتَانِى رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ – قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : أَرِبْتَ عَنْ يَدَيْكَ ، سَأَلْتَنِى عَنْ شَىْءٍ سَأَلْتَ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – لِكَيْمَا أُخَالِفَ ؟ " (١)

المعنى اللغوى :

قول الفاروق – ﷺ – : " أَرِبْتَ عَنْ يَدَيْكَ " هو موضع الشاهد هنا . والفعل "أَرِبَ" يقع عند أهل اللغة على معان متعددة ، منها :

يأتي بمعنى القطع ، ومنه قولهم : " أَرِبَ عضوُه ، أى : سقط ، وأَرِبَ الرجلُ : جُذِمَ وتساقطت آرابُه ، أى : أعضاؤه . وقد غَلَبَ في اليد " (٢) وعليه ورد قولهم : "قَطَّعْتُ اللحمَ آراباً – والواحد إِرْبٌ – أى : قِطَعاً " (٣)

ويأتي " أَرِبَ " – أيضاً – بمعنى احتاج ، ومنه قول العرب : " أَرِبَ الرجلُ ، إذا احتاج إلى الشيء وطلَبَهُ ، يأرَبُ أَرَباً " (٤) ويقال : " الإِرْبَةُ الحاجة ... وفي حديث عائشة – رضى الله عنها – : كان رسول الله – ﷺ – أَمْلَكَكُمْ لإِرْبِه " (٥) أى : لحاجته . تعنى أنه – ﷺ – كان أغلبَكم لهواه وحاجته . أى : كان يملك نفسه وهواه . وتقول العرب في المثل : مَأْرُبَةٌ لا حفاوة . أى : إنما بك حاجة لا تَحَفِّيَاً ... قال – تعالى – : ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ (٦) " (٧)

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٧٤/٣ برقم ٨١٨١ – تح/كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى –١٤٠٩هـ ، وسنن أبي داود ١٥٧/٢ برقم ٢٠٠٦ – كتاب المناسك – باب الحائض تخرج بعد الإفاضة – دار الكتاب العربي – بيروت – واللفظ لأبي داود .

(٢) تاج العروس ١٨/٢ " أ ر ب " ، وينظر : العين للخليل بن أحمد ٢٨٩/٣ " أ ر ب " .

(٣) العين للخليل بن أحمد ٢٨٩/٣ " أ ر ب " والمحيط في اللغة لابن عباد ٢٦٦/١٠ – تح/الشيخ محمد حسن آل ياسين – عالم الكتب .

(٤) تهذيب اللغة للأزهرى ١٥ /١٨٥ " أ ر ب " ، وينظر : اللسان ٢٠٨/١ " أ ر ب " .

(٥) هذا الحديث رواه البخارى بلفظ : " كان النبى – ﷺ – يقبل ويباشر وهو صائم ، وكان أملككم لإربه " . صحيح البخارى ٦٨٠/٢ برقم ١٨٢٦ – كتاب الصوم – باب المباشرة للصائم .

(٦) سورة طه : من آية ١٨ .

(٧) اللسان ٢٠٨/١ " أ ر ب " ، وتهذيب اللغة ١٨٥/١٥ " أ ر ب " .

ومن معانى " أَربَ " قولهم : " أَربَ في ذلك الأمر، أي : بلغ فيه جهده وطاقته وفطن له ... عن الأصمعي : أَربْتُ بالشيء : صرت فيه ماهراً بصيراً . ومنه : الرجل الأريبُ ، أي : ذو دَهْيٍ وبَصَرٍ " (١)

التحليل السياقى :

مما سلف يستبين لنا أن الفعل " أَربَ " يأتي في اللغة بمعنى : سقط ، واحتاج . إذا راعى القارئ المعنى اللغوى الأول لـ" أَربَ " أضحى معناه في ثنايا التعبير الاصطلاحي: " سقطَتْ آرابُك من اليدين خاصة " (٢) وتكون هذه الجملة دعاء على المخاطَب بألم يصيبه حتى تتساقط أعضاؤه .

وإذا أخذ بالمعنى اللغوي الثاني لـ" أَربَ " (احتاج) أصبح ظاهر معناه فى هذا التركيب : " ذهب ما في يديك حتى تحتاج " (٣) وهذا دعاء على المخاطب بالافتقار والحاجة حتى يتكففَ الناسَ بيديه .

وهنا سؤال يلقي بظله : هل رغب السياق في هذين المعنيين أو أحدهما ؟ الجواب : لا ؛ وذلك لأن المتفرس في هذا النص يدرك أن الأظهر بهذا الكلام أنه دعاء وليس المراد حقيقته(٤) إنما المقصود نسبة الخطأ إلى الحارث بن عبد الله(٥) حتى لا يعود إلى ما فعل .

ووجه الكلام في هذا أن الحارث بنَ عبد الله – ﷺ – سأل سيدنا عمر – ﷺ – عن المرأة في الحج يوم النحر طافت ، ثم حاضت ماذا تفعل ؟ فقال له الفاروق – ﷺ – : "لِيَكُنْ آخِرُ عَهْدِهَا بِالْبَيْتِ " . يعنى : لا تطوف طواف الوداع .

---

(١) تهذيب اللغة ١٨٤/١٥ " أ ر ب " ، وينظر : اللسان ٢٠٨/١ " أ ر ب " .

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٣٤٩/٣ – تح:د/ محمد عبد المعيد خان – دار الكتاب العربي – بيروت – ط الأولى ١٣٩٦هـ، وغريب الحديث لابن قتيبة ٤٥٧/١ ، وتحفة الأحوذى للمباركفورى ١٥/٤ ، وينظر: العين للخليل بن أحمد ٢٨٩/٣ " أ ر ب " ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧٧/١ .

(٣) اللسان ٢٠٨/١ " أ ر ب " ، وتاج العروس ١٨/٢ "أ ر ب"، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٥/٤ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود للآبادي ٣٣٩/٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤١٥هـ بتصرف، وينظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٢٣٥/١ .

(٥) ينظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود للآبادى ٣٣٩/٥ .

فقال الحارث – ﷺ – : "كَذَلِكَ أَفْتَانِي رَسُولُ اللَّهِ– ﷺ – " ، فغضب سيدنا عمر واستعظم ذلك حتى قال ما ظاهره الدعاء عليه وباطنه نسبةُ الخطأ إلى الحارث في فعله هذا ؛ إذ كيف يسأل الفاروقَ عن أمر عرفه من رسول الله – ﷺ – .

وقد استند السياق ههنا – في تلهيه عن المعنى اللغوى ، وتشبثه بقصد نسبة الخطأ – إلى قرينة حالية ، وذلك أن سيدنا عمر ما حمله على قول ذلك إلا خوفه من أن يفتى الحارثَ بشيء يخالف فيه رسولَ الله – ﷺ – في الوقت ذاته يعلم أنه اجتهد في الفُتْيَا ، وللمجتهد إن أصاب أجران وإن أخطأ أجر ، فهو على كلا الأمرين رابح ، لكن قوة دينه وشدة خشيته لله – ﷻ – من أن يخالف رسولَ الله – ﷺ – دفعته إلى التكلم بهذه العبارة " أَرِبْتَ عَنْ يَدَيْكَ " . وقد أومأ الفاروقُ – ﷺ – إلى هذه العلة فقال: " سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ سَأَلْتَ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – لِكَيْمَا أُخَالِفَ؟ "

ثَمَّ أمرٌ يجب التوقف عنده والتنبه له ، وذلك أن الحارث – ﷺ – لم يسأل سيدنا عمرَ – ﷺ – عن هذا الأمر ؛ ليوقعه في مخالفة رسول الله – ﷺ – بل كان قصده من وراء ذلك التثبتَ مما رواه عن النبي – ﷺ – والتزودَ من التوثيق لِمَا رَوَى خشية نسيان شيء من ألفاظ الحديث ، وهو صحابى جليل من أشد الناس تمسكاً بالقرآن والسنة ، فثَمَّ فرقٌ – عند علماء المصطلح – بين الحديث الذي يرد من طريق وبين الذي يرد من طريقين ، فالثاني أعلى درجة وأصح .

وبعد ، فتلك قرينة حالية سوغت للتركيب الاصطلاحي " أَرِبْتَ عَنْ يَدَيْكَ " أن يراد به نسبة الخطأ إلى المخاطب لتنبيهه ، وأثبتت بُعْدَ الدلالة اللغوية عن مقصد الكلام .

حَقِرْتَ ونَقِرْتَ

النص :

عن أُنَيْسَةَ بنت زيد بن أرقم قالت : " مات ابنٌ لزيد يُقال لـــه : سُــوَيْدٌ ، فاشترى غلامٌ له – أو جاريةٌ – جصَّاً [١] وآجُرَّاً [٢] ، فقال له زيد : ما تريد إلـــى هذا ؟ قال : أردتُّ أن أبنىَ قبرَه وأُجَصِّصَه . قال : حَقِرْتَ ونَقِرْتَ ، لا تَقْرَبُهُ شيئاً مَسَّتْهُ النارُ " [٣]

المعنى اللغوى :

محل الشاهد هنا قول زيد بن أرقم – ﷺ – لغلامه : " حَقِرْتَ ونَقِــرْتَ " . أما قوله: "حَقِرْتَ" فيقال في معناه اللغوي : " حَقَرَ الشيءَ يَحْقِرُهُ حَقْرَاً ، ومَحْقَرَةً ، وحقَارَةً، وَحَقَّرَهُ ، واحْتَقَرَهُ ، واسْتَحْقَرَهُ : استصغره " [٤] و" الحَقْــرُ فــي كــل المعاني : الذلة ... والحقير : الذليل الصغير " [٥]

وأما قوله:" نَقِرْتَ" فمأخوذ من النَّقِير" يقــال : بــه نَقِيــرٌ ،أى : قــروح وبَثْر"[٦] أو أن المراد من قوله : " نَقِرْتَ " الإتباع للأول على ســبيل التوكيــد [٧] كقولهم : "شيطان لَيْطَانَ، وعطشان نَطْشَان ... ورجل أَمَنَةٌ أَذَنَةٌ ، يَأْمَنُ كُلَّ أَحَدٍ ، ويصدق بكل ما يسمع"[٨]

---

(١) الجِصّ : الذى يُطلى به ... وليس الجِصُّ بعربي. المحكم والمحيط الأعظــم لابــن ســيده ١٧٦/٧ "ج ص ص"، واللسان ١٠/٧ " ج ص ص " .
(٢) الآجُرُّ : طبيخ الطين . اللسان ١٠/٤ " أ ج ر " ، وتاج العروس ٢٩/١٠ " أ ج ر " .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة٣٣٧/٣ – كتاب الجنائز – باب في تجصيص القبر والآجرّ يُجعل له .
(٤) اللسان ٢٠٧/٤ "ح ق ر"، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥٧٢/٢ "ح ق ر".
(٥) اللسان ٢٠٧/٤ " ح ق ر " .
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٠٥/٥ ، واللسان ٢٢٧/٥ " ن ق ر " .
(٧) ينظر : المرجعان السابقان الموضعان أنفسهما .
(٨) الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس ، ص ٦٧ – تح/ كمال مصطفى – مكتبة الخــانجي – مصر .

التحليل السياقى :

ترى النظرة المسرعة بأن قول سيدنا زيد – ﷺ – لغلامه : " حَقِرْتَ ونَقِرْتَ " على معناه اللغوى ، أى : صِرْتَ ذليلاً ، وأصابتْ جلدَك القروح والبثر . أو : صِرْتَ ذليلاً محقق الذل ، مؤكد المهانة ، لا ينفك عنك الهوان والصغار .

لكن هل يليق بالسياق أن يطلب هذا المعنى اللغوى ؟

إذا أحدق القارئ ناظريه في هذا النص اهتدى إلى أن قوله – ﷺ – : " حَقِرْتَ ونَقِرْتَ " ليس على معناه اللغوي ، وإنما أريد به التنبيه على الخطأ والإيقاظ من الغفلة .

ذلك لأن سيدنا زيداً – ﷺ – إنما صدع الغلامَ بهذا التعبير بغيةَ إشعاره بخطئه ببنائه قبر ابنه بالجصِّ والآجُرِّ – اللذين دخلت النار في صنعهما – ثم أعرب زيد عن علة هذا ، فقال : " لا تَقْرَبُهُ شيئاً مَسَّتْهُ النار" ، فَعَلَ ذلك جلباً للتفاؤل ودحراً للتشاؤم والاشمئزاز ؛ حيث تنفر النفوس وتضيق الصدور حين يُقْرَنُ القبر بالنار ، أو بما يتصل بها ؛ ومن هنا تكلم سيدنا زيد بما ظاهره الدعاء على الغلام ، وليس المراد وقوعه .

وينصر هذا التأويلَ السياقيَّ قرينةٌ حالية ، وذلك أنه لَيْسَ مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ – بَل هُوَ مَكْرُوهٌ – تَجْصِيصُ الْقُبُورِ وَتَطْيِينُهَا وَالْبِنَاءُ عَلَيْهَا [١]، ولم يُرَدْ به تحريم البناء عليها ؛ وإنما كُره ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُبَاهَاةِ وَزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتِلْكَ مَنَازِلُ الْآخِرَةِ ، وَلَيْسَتْ بِمَوْضِعٍ لِلْمُبَاهَاةِ .[٢] فإذا كان المكروه في عرف الفقهاء : " ما يُثاب على تركه ، ولا يُعاقَب على فعله " [٣] فهل يُتخيل من صحابي جليل كسيدنا زيد بن أرقم – ﷺ – أن يدعو على غلامه – الذي هَمَّ بارتكاب مكروه

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٢٣/١٠ – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت – ط من ١٤٠٤ هـ – ١٤٢٧ هـ .

(٢) المرجع السابق ٢٧٥/١١ .

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، لشمس الدين أبي عبد الله المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي ٤١/١ – دار الفكر – ط الثالثة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، والقاموس الفقهي لسعدى أبي حبيب ص٣١٨ – دار الفكر– دمشق – سورية – ط الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(تجصيص القبر) – بالذلة والهوان وأن يتقرح جلده ؛ فينفر منه الناس ؛ لمجـــرد أنه أراد أن يفعل شيئاً لا يعاقبه الشرع على فعله؟ الجواب : لا .

وعلى هذا يمكن القول بأن أليق المعاني بالسياق أن يراد به نسبة الخطـــأ إلى الغلام ؛ لأن باعث التفاؤل لدى زيد بن أرقم – ﷺ – هو الذي حملـــه علـــى اجتباء هذه العبارة التي تحمل في طيها شدة في الدلالة ، لكن لا يراد وقوعها .

المبحث الخامس : الذم والسب

تمهيد :

الذَّمُّ – عند العرب – : نقيض المدح ... والعرب تقول : ذَمَّ يَـذُمُّ ذَمّـاً . وهو اللوم في الإساءة .[١]

ويراد بالسب – في اللغة – الشتم [٢] ومنه قولهم : " سَبَّه يَسُبُّه سَـبّاً : شَتَمَه " [٣]

هذان المعنيان قد يصطفيهما السياق لبعض التعبيرات الاصـطلاحية فـي كتب السنة النبوية ، وإليك بيان ذلك :

يا ابن أُمِّ أَنْمَارٍ مقطعةِ البظور

النص :

روى البخارى في صحيحه أن جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ قال لوحشـي : " إنْ قَتَلْـتَ حمزةَ ، فأنت حُرٌّ . قال : فلما أن خرج الناسُ يوم عَيْنَيْن [٤]– وعَيْنَـيْن : جبـل بجبال أُحُد بينه وبين أحد وادٍ – خرجتُ مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصـطفوا للقتال خَرَجَ سِبَاعٌ، فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج حمزةُ بنُ عبدِ المطلـب ، فقال: يا سِبَاعُ، يا ابنَ أُمِّ أَنْمَارٍ[٥] مقطعةِ البظور ، أَتُحَادُّ اللهَ ورسولَه – ﷺ – ؟. قال : ثُمَّ شَدَّ عليه ؛ فكان كأَمْسِ الذاهب [٦]... " [١]

---

(١) لسان العرب ٢٢٠/١٢ " ذ م م " بتصرف ، وينظر : تاج العروس ٢٠٣/٣٢ " ذ م م " .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٦٣/٣ "س ب ب"، ومختار الصحاح ص٣٢٦ "س ب ب".

(٣) لسان العرب ٤٥٥/١ " س ب ب " .

(٤) يوم عَيْنَيْن : يوم أُحُد . ينظر : تاريخ دمشق ٢٥٧/٣٩ لأبى القاسم علي بن الحسـن بـن عساكر – تح / عمرو بن غرامة العمروي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

(٥) هى أم سباع ، وكانت جارية مملوكة تختن النساء . منار القارئ شرح مختصـر صـحيح البخاري لحمزة محمد قاسم ٣٤٣/٤ – مراجعة / عبد القادر الأرناؤوط – عنـى بتصـحيحه ونشره / بشير محمد عيون – مكتبة دار البيان – دمشق – سوريا – ومكتبة المؤيد – الطائف – المملكة العربية السعودية – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٦) فكان كأمس الذاهب : كناية عن إعدامه إياه بالقتل في الحـال . عمـدة القـاري للعينـي ١٥٩/١٧ .

(١) صحيح البخاري ١٠٠/٥ برقم ٤٠٧٢ – كتاب المغازي – باب قتل حمزة بن عبد المطلب .

المعنى اللغوى :

قول سيدنا حمزة – ﷺ – لسِبَاع : " يا ابن أمِّ أَنْمَارٍ مقطعة البظور " ظاهر معناه اللغوى أن سيدنا حمزة ينادي سباعاً بالمهنة التي كانت تزوالها أمه وقتئذ ، وهى ختن النساء ؛ ليخبر الناس بها .

لكن المتمعن في هذا التركيب يتجلى له أن سيدنا حمزة – ﷺ – لَمْ ينادِهِ بهذا النعت بقصد الإخبار بممارسة أُمِّ سِبَاعٍ ختانَ النسوة ، وإنما رشح السياقُ دلالةَ أخرى وهى قصد التعيير والذم والشتم ؛ لإذلاله ، وللتشهير به وإرغامه .

هذا ، وقد استند السياق في اصطفائه هذا المعنى إلى قرينتين :

الأولى : حالية ، وذلك أن العرب اعتادت أن تطلق هذه الكلمات في معرض الذم والشتم ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أمُّ مَنْ يُقَالُ لَهُ خَاتِنَةً . (١) ولذا قال سيدنا حمزة هذه العبارة ذاماً ، ولم يُرِدْ مجرد الإخبار بما تزاوله هذه المرأة من ختن النساء ؛ لأن هذه المرأة اشتُهِرَتْ بين العرب بمزاولة هذا العمل .

وإنما قال حمزة – ﷺ – لسباع : " يا ابن أم أنمار مقطعة البظور " ولم يقل : يا ابن الخاتنة ؛ لأن معنى التعيير في التعبير الأول أبرز من الثاني . (٢)

الثانية : حالية أيضاً ، وذلك أن شدة معاندة سباع لله – ﷻ – ورسوله – ﷺ – دفعت سيدنا حمزة – ﷺ – أن يستعمل أذم وأشنع العبارات وأوقعها على نفس سباع ؛ ليقدح ويشهر به جهاراً . ألا تراه يقول له : " أَتُحَادُّ اللهَ ورسولَه – ﷺ؟"، " أى : أتتجرأ على معاداتهما " (٣) لهذا كله أجهز عليه سيدنا حمزة ، فكان كأمس الذاهب ، أى : قتله في الحال .

وبعد، فتلك أمارتان بينتان تحسنان حمل المصطلح على معنى الذم والتعيير والسب، لا على مجرد الإخبار بأن أم سِبَاع خاتنة ، فالعرب كانت تعرف ذلك، فلو قُصد الإخبار بمهنتها فقط ؛ لكان ذلك تحصيلاً لأمر قد وقع ، وهذا لا جدوى منه .

---

(١) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٣٨/١ ،وفتح البارى لابن حجر العسقلانى ٣٦٩/٧.

(٢) ينظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٣٦٩/٧ .

(٣) منار القاري شرح مختصر البخاري لحمزة محمد قاسم ٣٤٣/٤ .

يا ابنَ شامَّةِ الوَذْرِ

النص :

عن معاوية بن قُرّة أن رجلاً قال لرجل : " يا ابنَ شامَّةِ الوَذْرِ . فاسْتَعْدَى عليه عثمانَ بنَ عفان، فقال : إنما عَنَيْتُ كذا وكذا . فأمر عثمانُ به ؛ فجُلِدَ الحَدَّ. عن إبراهيم قال : في التعريض عقوبة " [١]

المعنى اللغوى :

موضع الشاهد فيه قول الرجل للرجل : " يا ابن شامَّةِ الوَذْرِ " . والوَذْرَةُ من اللحم القطعة الصغيرة . وقيل : هى البَضعة لا عظم فيها ... وقيل : هى ما قطع من اللحم عرضاً بغير طول " [٢]

التحليل السياقى :

إذا كانت الوَذْرَةُ – في اللغة – القطعةَ من اللحم ، فمعنى هذا التعبير : يا ابن المرأة التي تشم اللحم . وهذا تأويل عبث لا جدوى منه ههنا .

إذاً ، فما المعنى السياقى الذي عليه يستقيم الكلام ؟

إذا تفرس القارئ في هذا النص استبان له أن السياق يجنح به إلى معنى غير معناه اللغوى ، وهو السب والقذف ، فليس المراد بالوَذْرِ – ههنا – قِطَعَ اللحم عامة ؛ وإنما أريد به المذاكير والكَمَرَ[٣] . كأنه أراد أن يقول : يا ابن شامّة المذاكير. يعنون به الزنا، كأن أمه كانت تشم كَمَرَاً مختلفة ، فكنى به عن الزنا. والذَّكَرُ قطعة من بدن صاحبه، فالمصطلح – على هذا – سب يكنى به عن القذف[٤] وليس يقع هنا على معناه اللغوى .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٥٣٨/٩ ، ٥٣٩ ، وسنن الدارقطنى ٢٩٠/٤ برقم ٣٤٧٨ – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١١٤/١٠ " و ذ ر " ، وينظر : لسان العرب ٢١٨/٥ " و ذ ر " ، وتاج العروس ٣٥٤/١٤ ، ٣٥٥ " و ذ ر " .

(٣) الكَمَر : جمع كَمَرة ، والكَمَرَة رأس الذَّكر . المحكم والمحيط الأعظم لاين سيده ٣٠/٧ " ك م ر " ، وينظر: المصباح المنير للفيومى ٥٤١/٢ " ك م ر " .

(٤) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٧٠/٥ ، واللسان ٢٨١/٥ " و ذ ر " ، وتاج العروس ١٤ /٣٥٥ ، ٣٥٦ " و ذ ر " ، بتصرف فيها .

وقيل : أراد بالوَذْرِ القُلَف : جمع قُلْفَة الذَّكَرِ ؛ لأنها تُقْطَعُ . أى : يا ابن شامَّة القُلَف . ومرجعه – أيضاً – إلى التأويل السابق[١] ، حيث دل على السباب المفضي إلى القذف .

أما القرينة التي تصرف هذا التعبير عن معناه اللغوى ، ليفيد معنى السباب والقذف فعلى نوعين :

القرينة الأولى : حالية ، وذلك أن العرب درجت العادة عندهم أن يستعملوا هذا التعبير ؛ ليدل على الشتم والقذف ، فدَيْدَنُ العرب حيال هذا التركيب أن يكون للسب والقذف ، فإذا قال الرجل للرجل : يا ابن شامَّة الوذْر ، فليس يريد إلا هذا المعنى .[٢] وهو أعلى ضروب الذم عند العرب .

القرينة الثانية : حالية أيضاً ، وذلك أن سيدنا عثمان بن عفان – ﷺ – كما في حديث الباب – لما بلغه أن رجلاً قال لرجل : يا ابن شامَّة الوَذْرِ ، قال له – يقرره – : إنما عَنَيْتَ كذا وكذا – يعنى الزنا – فأمر به ، فأقيم عليه حد القذف . فقضاء سيدنا عثمان – ﷺ – أن يُحَدَّ هذا القائل – من غير تذبذب – يقطع بأنه – ﷺ – لم يفهم من هذا التعبير إلا معنى القذف والسب ؛ إذ إن في التعريض عقوبة ، كما ورد في ذيل حديث الباب ، فَعَدَّهُ سيدنا عثمان تعريضاً بالزنا ، فحَدَّه.

فهذه وتلك قرينتان حاليتان تشهدان بأن المعنى اللغوى لا يستقيم به الكلام ، وإنما الأشبه والأليق بالسياق أن يُحمل على معنى القذف والشتم .

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٧١/٥، واللسان ٢٨١/٥ " و ذ ر".
(٢) ينظر: اللسان ٢٨١/٥ " و ذ ر " ، وتاج العروس ٣٥٥/١٤ " و ذ ر " .

يا بَنِي المَتْكَاء

النص :

روى البيهقى أن عمرو بن العاص – ﷺ – كان في سفر ، فرفَعَ عَقِيرَته بالغناء[١] ؛ فاجتمع الناس ، فقرأ ؛ فتفرقوا . فعل ذلك وفعلوه غير مرة ، فقال : يا بَنِي المَتْكَاء ، إذا أخذتُ في مزامير الشيطان اجتمعتم ، وإذا أخذتُ في كتاب الله تفرقتم؟ "[٢]

المعنى اللغوى :

قول سيدنا عمرو بن العاص – ﷺ – : " يا بَنِي المَتْكَاء " هو محل الشاهد هنا. وللمَتْكَاء عند أهل اللغة ثلاثة معانٍ :

الأول : المَتْكَاء : " التي لا تُمْسِكُ بولها " [٣] .

الثاني : المَتْكاء : " المُفْضاة التي صار مسلكاها شيئاً واحداً " [٤] أى : اختلط عندها مجرى البول بمجرى الغائط .

الثالث : قيل : من المَتْك – أو المُتْك – وهو عِرْقُ البَظْرِ . [٥] ومنه قولهم : " وامرأة مَتْكاء : بَظْرَاء " [٦] أى : " بَيِّنَةُ البَظْرِ ، طَوِيلَةُ البَظْرِ " [٧]

---

(١) عَقيرة الرجل : صوته إذا غَنَّى ، أو بكى ، أو قرأ . وقيل : أصله أن رجلاً عُقِرت رجله ؛ فوضع العقيرة على الصحيحة ، وبكى بأعلى صوته ، فقيل : رَفَعَ عَقِيرتَه . ثم كثر ذلك حتى صُيِّرَ بالغناء عقيرة . المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٨٤/١ " ع ق ر " ، واللسان ٥٩١/٤ " ع ق ر " .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى ٦٢/٢ –تح/محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٧٨٤/٦ "م ت ك"، وتاج العروس ٢٧/ ٣٢٨ "م ت ك".

(٤) أدب الكاتب لابن قتيبة الدينورى ص ١٤٠ – تح/ محمد الدالي– الناشر: مؤسسة الرسالة ، وينظر : تاج العروس ٣٢٨/٢٧ " م ت ك " .

(٥) ينظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد ٢٣١/٦ "م ت ك"، واللسان ٤٨٥/١٠ "م ت ك".

(٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٧٨٣/٦ " م ت ك" ، واللسان ٤٨٥/١٠ " م ت ك " .

(٧) اللسان ٧٠/٤ " ب ظ ر " ، وينظر : القاموس المحيط للفيروزابادى ٣٥٢/١ " ب ظ ر " – تح/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي – الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

التحليل السياقى :

يلحظ مما سبق أن جميع معاني المَتْكَاء نعوتٌ تُذم بها المرأة ، سواء كانت لا تحبس بولها ، أو اختلط مخرجاها ، أو عظم بظرها ؛ لأنها لم تُخْتَنْ . فظاهر قوله – ﷺ – : " يا بَنِي المَتْكَاء " إنما يدل على الإخبار – بطريق النداء – بأن أمهات هؤلاء المُعْرِضِينَ عن سماع القرآن ، المُقْبِلِينَ على المعازف قد أُصِبْن بشئ من هذه الأدواء : ارتخاء في عضلة التحكم في البول ، أو انشرام بين المخرجين ، أو طول بظرها . هذا هو المعنى المنبعث – من أول وهلة – من هذا التعبير .

وبالنظر إلى النص ملياً يتبين أن السياق لا يطلب هذه الدلالة ، وإنما يستدعى معنى آخر ، وهو قصد سب هؤلاء الذين آثروا سماعَ الأغاني على كتاب الله – ﷻ – .

وحجة السياق في استحسانه هذا المعنى تبرز من قرينة حالية – على ما وقع في حديث الباب – وذلك أن سيدنا عمرو بن العاص – ﷺ – لما تَغَنَّى بالمزامير ورفع صوته – يختبر الناس – أقبلوا ، ثم لمّا قرأ القرآن الكريم أعرضوا وتفرقوا ، ثم عاود يغني ؛ فأقبلوا ، ثم قرأ القرآن ؛ فتولَّوْا وتفرقوا ؛ فغضب ، وحمله سخطه عليهم أن يرميهم بأبشع العبارت ، فقال : " يا بَنِي المَتْكَاء " ، وهم – في الحقيقة – ليسوا بني مَتْكَاء ؛ لأن سيدنا عمرو بن العاص لم يتثبت بتحقق هذه الصفة في أمهاتهم .

ومن ثَمَّ يمكن القول بأن عمرو بن العاص – ﷺ – لم يكن قصده من هذا التعبير مجرد الإخبار بشئ وُصِفْنَ به ، وإنما أراد ذم هؤلاء وتبشيعهم ؛ إذ أعرضوا عن كتاب الله ، واجتمعوا على التغني واللهو .

المبحث السادس : الحضُّ على فعل الشيء

تمهيد :

" حَضَّهُ عليه حَضّاً وحُضّاً وحِضِّيضَى وحُضِّيضَى: حَثَّــهُ، وأحْمَــاهُ عليــه " (١) " والتَّحاضُّ: التحاثُّ. والمُحاضَّةُ: أن يحثَّ كلُّ واحد منهما صاحبَه " (٢)

هذا المعنى من المعاني التي تواردت على بعض التعبيرات الاصــطلاحية في السنة النبوية ، ورشحها السياق مؤيداً ذلك بقرائن ، وذلك على النحو الآتي :

لا أبا لك

النص :

عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان قَالَ : " كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ الله – ﷺ – يَذْكُرُ الْفِتَنَ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ ، فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟ قَالُوا : أَجَلْ ، قَالَ : تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّــيَامُ وَالصَّــدَقَةُ . وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ – ﷺ – يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ ، فَقُلْتُ : أَنَا ، قَالَ : أَنْتَ ؟ للَّهِ أَبُوكَ . قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله – ﷺ – يَقُولُ : تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودَاً عُودَاً ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْــرِبَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّــمَاوَاتُ وَالْــأَرْضُ ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا ، إِلَّــا مَــا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ . قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ ، قَالَ عُمَرُ : أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ . قُلْتُ : لَا ، بَلْ يُكْسَرُ . وَحَدَّثْتُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ . قَالَ أَبُو خَالــدٍ : فَقُلْتُ لِسَعْدٍ : يَا أَبَا مَالِكٍ ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ. قَــالَ : قُلْتُ : فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا ؟ قَالَ : مَنْكُوساً ؟ " (٣)

---

(١) القاموس المحيط ٦٤٠/١ " ح ض ض ".

(٢) الصحاح للجوهرى ١٠٧١/٣ " ح ض ض ".

(٣) صحيح مسلم ١٢٨/١ ، ١٢٩ برقم ١٤٤ – كتاب الإيمان – باب : بيان أن الإســلام بــدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين .

المعنى اللغوى :

قول الفاروق – ﷺ – لسيدنا حذيفة : " لا أبا لك " لفظه لفظ الخبر ، وظاهر معناه الدعاء على المخاطَب بفقدان الأب . (١)

التحليل السياقى :

إذا كان المعنى اللغوى لهذا المصطلح الدعاءَ على المخاطَب بفقد أبيه ، فهل هذا مقصد الفاروق ؟ هل يريد الدعاءَ على سيدنا حذيفة أن يفقد أباه لَمّا وصَّف له الفتنَ التي تموج موجَ البحر ؟

إذا تصفحت شروح السنة وتفحصت هذا النص أيقنْتَ أن السياق قد عزف عن المعنى اللغوي ؛ إذ لا يتسق وبغيةَ الكلام ، فليس يريد الفاروق – ﷺ – الدعاء على حذيفة – ﷺ – بفقدان الأب .

وإنما آثر السياقُ أن يدل هذا التعبير على الحث على فعل الشيء والترغيب فيه، فالعرب تقول هذه الكلمة وتريد منها الحضَّ على فعل الشيء .(٢)

وتحرير القول فيه " أن الإنسان إذا كان له أب ووقع في شدة عاونه أبوه ، ورفع عنه بعضَ الكَلِّ ، فلا يحتاج من الجِدِّ والاهتمام إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد وعدم الأب المعاون " (٣)

وعلى هذا التأويل السياقي أضحى معنى المصطلح في تضاعيف الحديث : " جِدَّ في الأمر ، وشَمِّرْ ، وتأهَّبْ تأهُّبَ من ليس له معاون " (٤) **حتى تنجو من الفتن .**

هذا ، وقد سوغ دلالةَ هذا التعبير على معنى الحث على فعل الشيء وتحريك الأنفس إليه قرينتان :

---

(١) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥٦٥/١٠ " أ ب و "، وتاج العروس للزبيدي ١٩/٣٧ "أ ب و".

(٢) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٤/٢ ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٦٠٦/٦ ، وعمدة القاري لبدر الدين العيني ٩٣/٢٤ .

(٣) الديباج على صحيح مسلم للسيوطي ١٦٣/١ ، وينظر : شرح النووى على صحيح مسلم ١٧٤/٢ .

(٤) الديباج على صحيح مسلم للسيوطي ١٦٣/١ ، وينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٣٠٦/١٢ .

الأولى : لغوية ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – ﷺ – لمَّا تطلعت نفسُه إلى أحد قد روى شيئاً في الفتن – التي تموج موج البحر – عن رسول الله – ﷺ – سأل ، فصمت الحضورُ ولم يجبه إلى ما يريد إلا سيدنا حذيفة – ﷺ – وإنما كان الباعث لسؤال الفاروق – ﷺ – عن الفتن خشيةُ الوقوع فيها ، وليتعلم كيف يتقيها ؛ ومن هنا لمّا شفى حذيفة صدره بالجواب ، فرح الفاروق به ؛ فراح يمدحه بقوله : " للهِ أبوك ؟ " أى: أنت سمعتَ قول النبي – ﷺ – في الفتن التي تموج كموج البحر .

فقوله لحذيفة : " لله أبوك " " كلمة تعتاد العرب الثناء بها ، فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، ولهذا يقال : بيت الله ، وناقة الله ، فإذا وُجد من الرجل ما يُحمد قيل : للهِ أبوك ، حيث أتى بمثلك " (١)

إذاً فالفاروق – ﷺ – ههنا يثني على سيدنا حذيفة ويقرظه ؛ لأنه أجابه إلى ما تشوفت إليه نفسه ، فكيف يُتوقع من سيدنا عمر – بعد مدحه حذيفة ، وبعد أن وجد عنده ضالته – أن يدعو عليه بفقدانه أباه ؟

فقوله : " للهِ أبوك " قرينة لغوية تقطع بانصراف السياق هنا عن معناه اللغوي ، وتُحَسِّنُ حمل التركيب على دلالة الحض على فعل الشيء .

الثانية : حالية ، تشهد بأن هذا التركيب ليس على معناه اللغوي ، وذلك أن العرب قد جرت العادة لديهم أن يقولوا : لا أب لك ، لمن له أب ولمن لا أب له ؛ لأنه إذا كان لا أب له لم يَجُزْ أن يُدْعَى عليه بما هو فيه ، وإلا كان الكلام عبثاً ، ألا ترى أنك لا تقول للفقير : أفقره الله ، فكما لا تقول لمن لا أب له : أفقدك اللهُ أباك ، كذلك تعلم أن قولهم – لمن لا أب له – : لا أب لك ، ليس على معناه الأصلي ، وإنما هو مُخْرَجٌ مَخْرَجَ المَثَل . يشهد لذلك قول عنترة :

---

(١) الديباج على صحيح مسلم للسيوطي ١٦١/١ .

فَـاقْنَىْ حَيَـاءَكِ لا أبَ لَـكِ ، واعلمـي ∴ أنـي امـرؤ سـأموتُ إنْ لَـمْ أُقْتَـلِ [١]

... ويدلك على أن هذا ليس على حقيقته ، وإنما راح إلى معنى آخر قول جرير:

يـا تَـيْمُ تَـيْمَ عَـدِيٍّ لا أَبَـا لَكُـمُ ∴ لا يَلْقَيَـنَّكُمُ فِي سَـوْءَةٍ عُمَـرُ [٢]

فهذا أقوى دليل على أن هذا القول لا يراد به معناه اللغوى ، وإنما يقع عند العرب على معان أخر ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يكون للتيم كلها أب واحد ، ولكنكم كلكم أهل الدعاء عليه والإغلاظ له . [٣]

وبعد ، فهاتان قرينتان دلتا معاً على أن المعنى المراد هنا الحض على فعل الشيء والترغيب فيه .

---

(١) هذا البيت من بحر الكامل ، وهو لعنترة بن شداد العبسي . ومعناه : التزمي حياءَكِ ، وارجعي عن لومي . ينظر : شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ص ١٢٨ – قدم له ووضع هوامشه وفهارسه / مجيد طراد – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٢هـ/٢٩٩٢م .

(٢) البيت من بحر البسيط وهو لجرير بن عطية برواية : يوقعنكم ، بدلاً من يلقينكم ، ينظر : ديوان جرير ص٢١٩ – دار صادر – بيروت – من دون تاريخ ، وشرح ديوان جرير لمحمد إسماعيل عبد الله الصاوي ص٢٨٥ – مطبعة الصاوي – مصر – من دون تاريخ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥٦٦/١٠ " أ ب و " ، واللسان ٤١٧/١٥ " أ ب و " ، بتصرف .

تَرِبَتْ يَدَاك

النص :

أقبل خزيمةُ بن حكيم السُّلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ يوم فتح مكة حتى وقف على رسول الله – ﷺ – فقال له رسولُ الله – ﷺ – لمَّا نظر إليه – : " مرحباً بالمهاجر الأول . قال خزيمة : أما والله يا رسول الله ، لقد أتيتُك عددَ أصابعي هذه فما نَهْنَهَنِي[١] عنك إلا أن أكون مُجِدًّا في إعلانِك غيرَ مُنْكِرٍ لرسالتِكَ ، ولا مُخَالفٍ لدعوتِكَ، آمنتُ بالقرآن ، وكفرتُ بالأوثان ، وأتيتُك يا رسول الله غيرَ مبدلٍ لقولي ، ولا ناكثٍ لبيعتي . فقال رسولُ الله – ﷺ – : إن الله يَعْرِضُ على عبده في كل يوم نصيحةً ، فإن هو قَبِلَهَا سَعِدَ ، وإن تركها شَقِيَ ، فإن اللهَ باسطٌ يدَه لمسيءِ النهار ؛ ليتوبَ ، فإن تاب ، تاب اللهُ عليه ، وإن الحقَّ ثقيلٌ كثقله يوم القيامة، وإن الباطل خفيف كخفَّتِه يوم القيامة، وإن الجنة محظور عليها بالمكاره، وإن النار محظور عليها بالشهوات . أَنْعِمْ صباحاً تَرِبَتْ يداك.."[٢]

المعنى اللغوى :

شاهد هذا النص الشريف قوله – ﷺ – لخزيمة : " تَرِبَتْ يداكَ " . " يقال للرجل – إذا قل مالُهُ – : قد تَرِبَ ، أى : افتقر حتى لصق بالتراب "[٣] فمعنى قولهم : تَرِبَتْ يدُ الرجل : " صار في يده التراب "[٤]

المعنى السياقى :

يُعْلَمُ من هذا أن قوله – ﷺ – : " تَرِبَتْ يداكَ " جملة دعائية ، معناها : لُصِقَتْ يداك بالتراب من شدة الفاقة . فهى تقال للدعاء على المخاطب بالفقر

---

(١) النَّهْنَهَة : الكفُّ . تقول : نَهْنَهْتُ فلاناً ، إذا زجرتُه فتَنَهْنَهَ ، أى : كَفَفْتُه ، فكفَّ . اللسان ٥٥٠/١٣ "ن هـ ن هـ" ، وينظر : تاج العروس ٥٣١/٣٦ " ن هـ ن هـ " .

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين بن حسام المتقي الهندي ٣٨٥/١٣ – تح/بكر حيانى، وصفوة السقا – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الخامسة١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) اللسان ٢٢٧/١ "ت رب"، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٤٧٩/٩ "ت ر ب"، وتاج العروس ٦٦/٢ " ت ر ب " .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لاين سيده ٤٧٩/٩ "ت ر ب"، وتاج العروس ٦٦/٢ "ت ر ب".

المُدْقِع ، فهل هذه الدلالة اللغوية هى مقصد النبى – ﷺ – ؟ هل تتسق وطَلِبَةَ السياق من هذا التعبير الاصطلاحي ؟

حين يتأمل القارئ النص الشريف يدرك أن هذا المعنى اللغوى ليس على وفق السياق ، ولكن هذا التعبير كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها ، وهم لا يريدون بها الدعاء على المخاطَب ، ولا وقوع الأمر به .[١]

ومن هنا لم يُرِدِ النبىُّ – ﷺ – الدعاءَ على خزيمة – ﷺ – بل أراد الدعاءَ له[٢] وترغيبَه في استعمال ما تقدمت به الوصية بالتوبة بالليل والنهار ، والحرص على دخول الجنة بفعل المكاره (الطاعات والتكاليف) ، واجتناب النار بترك الشهوات . [٣]

ويشفع لهذا التوجيه السياقي قرينتان :

الأولى : لغوية ، وتتجلى في قول النبي – ﷺ – لخزيمة –في حديث الباب–: "أَنْعِمْ صباحاً"، مأخوذ من الإنعام الدال على الترفه والدعة وطيب العيش والصلاح[٤]، ثم أعقبه بقوله : " تَرِبَتْ يداكَ " فلا يُتخيل – ههنا – أن يدعو النبى – ﷺ – لخزيمة أن يهنأ عيشه ويرغد ، ثم يدعو عليه بالفقر والحاجة ؟ وإلا بات الكلام متناقضاً .

الثانية : قول النبي – ﷺ –لخزيمة مُرَحِّباً به حين أقبل عليه يوم فتح مكة–: " مَرْحَبَاً بالمهاجر الأول " نعتَه بالمهاجر الأول ؛ لأنه كان إذا قدم على السيدة خديجة – رضى الله عنها – أصابته بعطاء ، ثم قدم عليها مرة فوجهته مع رسول الله – ﷺ – ومعه غلام لها يقال له : ميسرة ،إلى بصرى ، وبصرى من أرض

---

(١) اللسان ٢٢٧/١ " ت ر ب " ، وينظر : تهذيب اللغة للأزهرى ١٩٤/١٤ " ت ر ب " ، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٦٦٥/٣ .

(٢) ينظر : عمدة القاري للعيني ٢١١/٢ ، ٢١٢ ، وكوثر الدرارى في كشف خبايا صحيح البخارى لمحمد خضر الشنقيطي ١٤٧/٤ .

(٣) ينظر: إكمال المنعم بفوائد مسلم للقاضي عياض١٤٣/٢، ولسان العرب٢٢٧/١ "ت ر ب"، وشرح سنن النسائي للسيوطى ١١٤/١ – تح/عبد الفتاح أبي غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ط الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٥/٥ " ن ع م " – تح/ عبد السَّلام محمد هَارُون– الناشر : اتحاد الكتاب العرب – ط ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م. ، واللسان ٥٧٩/١٢ " ن ع م " .

الشام ، وأحب خزيمةُ رسولَ الله – ﷺ – حباً شديداً حتى اطمأن إليه رسولُ الله – ﷺ – فقال له خزيمة: يا محمد ، إني أرى فيك أشياء لم أرها في أحد من الناس..." (١)

فوصْفُ النبي – ﷺ – خزيمةَ بالمهاجر الأول – لصحبته إياه فى رحلة بصرى ، وكأنه سبق المهاجرين – ثم حُبُّ خزيمة رسولَ الله – ﷺ – وارتياحُ رسولِ الله له ، هل تراه بعد هذا كله يدعو على خزيمة بالفاقة ؟ الجواب – مؤكَّداً – : لا .

وبعد ، فهاتان قرينتان بينتان تستبعدان المعنى اللغوى ، وترشحان أن يحمل هذا التركيب على قصد الحفز والحث على الأخذ بالوصية .

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندى ٣٨٤/١٣ .

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله وحــده تتحقــق جلائــل المُهِمَّات، وعليه – سبحانه – الاتكال في جميع المُلِمَّات ، وأصلى وأسلم على سيد المخلوقات ، وعلى آله وصحبه عدد ما مضى وما هو آتٍ .

وبعد ، فهذا عمل لغوى يسيرٌ ارتبط بصنو الوحي وقسيمه ، بسنة النبي – ﷺ – حيث قال – ﷺ – : " أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ "[1] فلا جــرم أن الســنة تبوأت في الدين مكانة عظيمة ، ومن ثَمَّ وقف كثير من البــاحثين بــين يــديها ، ينهلون من معينها الذي لا ينضب.

وقد نهض هذا البحث على فكرة لغوية تستوقف الباحثَ مــدة وجيــزة ؛ ليتعايش فيها مع رسولَ الله –ﷺ– ويَصْغَى إلى الدُّرِّ المتحدر من ثَغْرِهِ الطاهرِ .

فقد رصد البحثُ بعض التعبيرات اللغوية التي لَهَجَ بها أفصحُ العرب – ﷺ – ثم استترت بعض مقاصدها الدلالية عن القارئ المتعجل إلا من أنعم النظر فيها مسترشداً بقرائن مقالية أو مقامية ، تكشف عنها الإبهام ، وتميط عنها اللثــام ، وهنا يصل القارئ إلى مقصد النبي – ﷺ – مما تكلم به .

هذا ، وقد انبثق عن هذا العمل اللغوي عدة نتائج ، هى :

أولاً – أثبت البحث أهمية السياق في دراسة التراكيــب اللغويــة دراســة سياقية، وأعرب عن دور القرائن في التوصل إلى المعنى المراد ، وأكد علــى أن السياق لا يبرح معنى ؛ ليقع على غيره إلا متكئاً على القرائن التي تكتنفه .

ثانياً – كشف البحث عن أهمية عادات العرب وما تمثله من دور بارز فــي تغيير وجهة الكلام ، ذلك لأن جُل التعابير – محل الدراسة – تخدع الأبصار فــي الوهلة الأولى ، حيث يقفز إلى الأذهان معانيها اللغوية ، ويظــن القــارئ أنهــا المرادة ، ثم – مع قليل تمعن واستحضار لعادات العرب في استعمال هذه التراكيب – يستبين أنها بعيدة عن بغية المتكلم ، وأن ثمت معانى سياقية سواها تتفق وما يريده النصُّ من هذه التعبيرات اللغوية .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٢/١ .

فإن هو غض الطرف عن هذه العادات ولم يستصحبها معه ، ضل السبيل إلى المعنى الذي عليه يستقيم الكلام ، وأصاب المعنى العامَّ دَخَلٌ ، فتتخلخل أركان النص ، ويُنْتَقَضُ بنيانُه ، ويتعاظم خطر ذلك هنا ؛ لأن الأمر متعلق بما لا يُقْبَلُ الإسلامُ إلا بها، أعنى سنةَ رسول الله – ﷺ – .

ثالثاً – أباحَ البحثُ أن يستعمل الرجلُ تراكيب لغويةً – قسا ظاهرها – في مقامات لطيفة ، كالمدح والتقريظ ، أو التعجب والدهشة ، أو تنبيه الغافل وإيقاظه من سهوه ...

شريطة أن يَصْحَبَ هذه التعبيراتِ اللغويةَ ما يُسْقِطُ عنها شدَّتَها ، ويُزيلُ عنها قسوتَها ، ويُرشدُ المخاطَبَ إلى هذه المعاني الحميدة ، حتى لا يتسربَ إلى نفسه شيء من دلالاتها اللغوية ، فَتُعَكِّرَ عليه .

فها هو ذا رسول الله – ﷺ – يمدح أبا بَصِير – ﷺ – بقوله : " وَيْلَ أُمِّهِ"، والويل – في اللغة – كلمة عذاب تقال لمن وقع في هلكة لا يُتَرَحَّمُ عليه معها .[١] وترى الفاروق عمر – ﷺ – يستنهض همة سيدنا حذيفة بن اليمان ، ويَحُضُّهُ على الجِدِّ في الأمر بقوله: " لا أبا لكَ " على أن ظاهر معناه الدعاء عليه بفقدان الأب.[٢] وهلم جرا...

وبعدُ ، فتلك أبرز ما وقفتُ عليه من النتائج التي أفرزها هذا البحث . وأما ما خفى عن إدراكي وزاغ عنه البصر فلأن نظرتي البشرية سقيمة ؛ ومن ثَمَّ كان لزاماً عَلَىَّ أن أسألَ اللهَ – ﷻ – أن يعفوَ عن خطاياى ، وأن يسترني في محياى، وأن يرحمني حين مماتي وعند رجوعي إلى مولاى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) ينظر : البحث ص ٢١.
(٢) ينظر : البحث ص ٥٥.

ثبت المراجع والمصادر

* الإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس- تح/ كمال مصطفى - مكتبة الخانجي – مصر – دون تاريخ .
* إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد - مطبعة السنة المحمدية – دون تاريخ ، وطبعة أخرى - تح/مصطفى شيخ مصطفى ، ومدثر سندس – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
* أدب الكاتب لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – تح/ محمد الدالي- مؤسسة الرسالة – دون تاريخ .
* إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لمحمد بن أحمد القسطلانى - تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – المطبعة الأميرية الكبرى – مصر – ١٣٢٣هـ.
* إصلاح غلط المحدثين لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى – تح:د/ محمد على عبد الكريم الروينى – دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٧هـ .
* إِكمَال المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي – تح:د/يحْيَى إِسْمَاعِيل - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر– ط الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
* تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي- تح/مجموعة من المحققين – دار الهداية.
* تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري – تح/أحمد عبدالغفور عطا– دار العلم للملايين – بيروت – ط الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
* تاريخ دمشق لأبى القاسم علي بن الحسن بن عساكر – تح / عمرو بن غرامة العمروي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
* تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي البيضاوي – تح/ لجنة مختصة بإشراف : نور الدين طالب – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

* تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لأبى العلا المباركفورى – دار الكتب العلمية – بيروت .
* التحفة الربانية في شرح الأربعين النووية لإسماعيل بن محمد الأنصاري – الباحث في دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية – دون تاريخ .
* تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، لحمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله ابن يصل الأزدي الحميدي – تح/ زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز –مكتبة السنة– القاهرة – مصر – ط الأولى ١٤١٥ ه– ١٩٩٥م .
* التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية تحليل لغوى تقابلى لسحيد جبر أبى خضر – جامعة آل البيت – عالم الكتب – أربد – الأردن – ٢٠٠٨م .
* التعابير المسكوكة ودورها في الخطاب السياسي لموساوى يمينة ليلى – جامعة أبى بلقايد – تلمسان – كلية الآداب – الجزائر – ٢٠١٠م.
* التعبير الاصطلاحى لكريم زكى حسام الدين – مكتبة الأنجلو – مصر – ط الأولى ١٩٨٥م.
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبدالبر– تح/ مصطفى بن أحمد العلوي ، ومحمد عبد الكبير البكري – الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية– المغرب .
* تنوير الحوالك شرح موطأ مالك لجلال الدين السيوطي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
* تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى – تح/ محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط الأولى٢٠٠١م.
* التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن سراج الدين عمر بن على – تح/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا – ط الأولى ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادى – تح:د/ محمد رأفت السعيد– مكتبة الفلاح – الكويت – ط الأولى ١٤٠١هـ .

* جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي- تح/ رمزي منير بعلبكي – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – ط الأولى ١٩٨٧م.
* حاشية السندي على سنن ابن ماجه لمحمد بن عبد الهادي –الناشر: دار الجيل- بيروت – بدون تاريخ .
* حاشية السندي على سنن النسائي لنور الدين عبد الهادى السندي – تح/عبدالفتاح أبو غدة- مكتب المطبوعات الإسلامية حلب – ط الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
* حاشية السندي على صحيح البخاري – تح/علي بن أحمد الكندري – الناشر: مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع ١٤٣٢هـ/2011 م ، وطبعة دار الفكر – بيروت – دون تاريخ .
* الديباج على صحيح مسلم للسيوطى – تح/أبي إسحاق الحوينى – دار ابن عفان للنشر – السعودية – الخبر – ط الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
* ديوان جرير – دار صادر – بيروت – من دون تاريخ .
* ديوان الخنساء – المكتبة الثقافية – بيروت – دون تاريخ .
* ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن على الولوى –دار المعراج الدولية للنشر- ط الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
* الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري – تح:د/حاتم صالح الضامن- دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.
* سنن الترمذي – تح/أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي – مطبعة الحلبى- مصر- ط الثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
* سنن الدارقطنى – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤٢هـ/٢٠٠٤م.
* سنن أبى داود – دار الكتاب العربي – بيروت – وزارة الأوقاف المصرية .
* السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي – مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد – ط الأولى ١٣٤٤هـ ،

وطبعة أخرى تح/محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

* السنن الكبرى للنسائي – تح/ حسن عبد المنعم شلبي، وشعيب الأرناؤوط – تقديم/عبد الله بن عبد المحسن التركى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

* سنن ابن ماجه – تح/ محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت – دون تاريخ ، وطبعة دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي – دون تاريخ .

* الشافي في شرح مسند الشافعي لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الجزري بن الأثير– تح/أحمد بن سليمان ، وأبى تميم ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية – ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

* شرح الأربعين النووية للشيخ عطية محمد سالم – شرح صوتى – المكتبة الشاملة .

* شرح ديوان جرير لمحمد إسماعيل عبد الله الصاوي – مطبعة الصاوي – مصر – من دون تاريخ .

* شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي – قدم له ووضع هوامشه وفهارسه/ مجيد طراد– دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٢هـ/٢٩٩٢م .

* شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك – تح: طه عبد الرءوف سعد – مكتبة الثقافة الدينية– القاهرة – ط الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

* شرح سنن أبى داود ، لبدر الدين العيني – تح/ أبى المنذر خالد بن إبراهيم المصري– مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولى ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

* شرح سنن ابن ماجه لمغلطاى – تح/ كامل عويضة – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز– المملكة العربية السعودية – ط الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

* شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي– تح/شعيب الأرنـــاؤوط ، ومحمد زهير الشاويش– المكتب الإسلامى – دمشق – بيـــروت – ط الثانيـــة ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م.
* شرح سنن النسائي للسيوطى – تح/عبد الفتاح أبي غدة – مكتب المطبوعـــات الإسلامية – حلب – ط الثانية ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م.
* شرح صحيح البخاري لابن بطال البكري – تح/ أبي تميم ياسر بن إبـــراهيم – مكتبة الرشد – السعودية – الرياض – ط الثانية – ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٣م .
* شرح النووي على صحيح مسلم – ط الثانية ١٣٩٢هـــ –دار إحياء التراث – بيروت.
* صحيح البخاري – تح/محمد زهير بن ناصر – شرح وتعليق:د/مصطفى ديـــب البغا– دار طوق النجاة – ط الأولى ١٤٢٢هـــ ، وطبعة أخرى – د. مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير ، اليمامة – بيـــروت – ط الثالثـــة ١٤٠٧ هـــــ / ١٩٨٧م .
* صحيح ابن حبان – تح/شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيـــروت – ط الثانية ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م .
* صحيح مسلم – تح/ محمد فؤاد عبدالباقى – دار إحيـــاء التـــراث العربـــي – بيروت ، وطبعة دار الجيل – بيروت – دار الأوقاف الجديدة – بيروت .
* عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد للسيوطى – تح/حسن موسى الشاعر – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
* عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني – دار إحيـــاء التـــراث العربي – بيروت .
* عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الدين العظيم آبـــادي – دار الكتـــب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤١٥هـــ.
* العين للخليل بن أحمد – تح:د/مهدى المخزومى ، ود/إبراهيم السامرائى – دار ومكتبة الهلال .

* غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى – تح/عبدالكريم إبراهيم الغرباوى – جامعة أم القرى – مكة المكرمة١٤٠٢هـ.
* غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري– تح:د/عبد الله الجبوري– مطبعة العاني – بغداد – ط الأولى ١٣٩٧م .
* غريب الحديث للقاسم بن سلام – تح:د/ محمد عبد المعيد خان – دار الكتاب العربي – بيروت – ط الأولى ١٣٩٦هـ.
* الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشرى– تح/على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – لبنان .
* فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.
* فتح القوي المتين في شرح الأربعين لعبد المحسن بن حمد العباد البدر –دار ابن القيم– الدمام المملكة العربية السعودية – ط الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
* القاموس الفقهي لسعدى أبي حبيب – دار الفكر – دمشق – سورية – ط الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
* القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادى – تح/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي – الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط الثامنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
* الكاشف عن حقائق السنن للحسين بن عبد الله الطيبى – تح:د/عبد الحميد هنداوي– مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – الرياض – ط الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م.
* كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لعبد الرحمن بن علي الجوزي – تح/ علي حسين البواب – الناشر: دار الوطن – الرياض١٤١٨هـ–١٩٩٧م .
* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين بن حسام المتقي الهندي – تح/بكر حيانى، وصفوة السقا – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

* كوثر الدرارى في كشف خبايا صحيح البخاري لمحمد الحفنى الشنقيطى – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
* لب الألباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي – دار صادر – بيروت.
* لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري – دار صادر – بيروت دون تاريخ .
* المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن بن سيده – تح/ عبدالحميد هنداوى – دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م .
* المحيط في اللغة للصاحب بن عباد– تح/الشيخ محمد حسن آل ياسين – عالم الكتب.
* مختار الصحاح لزين الدين الرازي – تح/ يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – الدار النموذجية – بيروت – صيدا – ط الخامسة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
* مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعبد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري – إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية بنارس – الهند – ط الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* مرقاة المفاتيح للملا على القاري – الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان – ط الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
* المسالك في شرح موطأ مالك للقاضي الإشبيلى ٢/٢٢٠ – تعليق: محمد بن الحسين السليمانى ، وعائشة بنت الحسين السليمانى – تقديم:د/يوسف القرضاوى – دار الغرب الإسلامى – ط الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، –.
* مسند الإمام أحمد – تح/ شعيب الأرنؤوط – وعادل مرشد، وآخرين – إشراف : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – ط الأولى١٤٢١هـ–٢٠٠١م .
* مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢/٢٩٨ – المكتبة العتيقة ودار التراث – دون تاريخ .

* مشكلات موطأ مالك – تح/طه بن على بو سريح التونسي – دار ابن حـــزم – لبنان – بيروت – ط الأولى ١٤٢٠هـــ/٢٠٠٠م .
* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي الفيومى– المكتبة العلمية – بيروت.
* مصنف ابن أبى شيبة – تح/محمد عوامة – الدار السلفية الهندية القديمـــة – دون تاريخ ، وطبعة أخرى – تح/كمال يوسف الحـــوت – مكتبـــة الرشـــد – الرياض – ط الأولى ١٤٠٩هـــ.
* مطالع الأنوار على صحاح الآثار لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقول – تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر – ط الأولى ١٤٣٣هـــ/٢٠١٢م.
* معالم السنن لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي – المطبعة العلمية – حلب – ط الأولى ١٣٥١هـــ/١٩٣٢م.
* معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي – دار صادر– بيروت – ط الثانية ١٩٩٥م .
* معجم الصواب اللغوي ، دليل المثقف العربـــي – د/ أحمـــد مختـــار عمـــر ، بمساعدة فريق عمل – الناشر: عالم الكتب – القاهرة – ط الأولى ، ١٤٢٩هـــ / ٢٠٠٨م.
* المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد الطبراني – تح: حمدي بن عبـــد المجيـــد السلفي– مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
* معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس– تح/ عبد السَّلام محمد هَارُون– الناشر : اتحاد الكتاب العرب – ط ١٤٢٣ هـــ / ٢٠٠٢م ، وتح/عبـــد الســـلام محمـــد هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـــ – ١٩٧٩م.
* المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى الزيات وأحمد الزيات – تح/مجمـــع اللغـــة العربية.
* منار القارئ شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم – مراجعة/عبد القادر الأرناؤوط – عنى بتصحيحه ونشره / بشير محمد عيون – مكتبـــة دار

البيان – دمشق– سوريا – ومكتبة المؤيد –الطائف– المملكة العربية السعودية – ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

* المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي – مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر – ط الأولى ١٣٣٢هـ .

* مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، لشمس الدين أبي عبد الله المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي – دار الفكر – ط الثالثة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

* الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية –الكويت– ١٤٠٤هـ– ١٤٢٧هـ .

* النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير – تح/ طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

* نيل الأوطار لمحمد بن على الشوكانى – تح/عصام الدين الصباطى – دار الحديث – مصر – ط الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ثبت الموضوعات

اسم الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣٢٤٣
التمهيد	٣٢٤٨
المبحث الأول : الزجر والتغليظ .	٣٢٥١
المبحث الثاني : المدح والتقريظ .	٣٢٦٧
المبحث الثالث : الإنكار والتوبيخ .	٣٢٧٦
المبحث الرابع : التنبيه من الغفلة ونسبة الخطأ .	٣٢٨٧
المبحث الخامس : الذم والسب .	٣٣٢١
المبحث السادس : الحض على فعل الشيء .	٣٣٠٣
الخاتمة	٣٣١٠
ثبت المراجع والمصادر	٣٣١٢
ثبت الموضوعات	٣٣٢١